سوبوليف

التروتسكية

خصم الثورة

حسن يوسف اللموني

سوبوليف

التروتسكية

خصم الثورة

دار التقدم
موسكو

ترجمة خيرى الضامن

А. Соболев

ТРОЦКИЗМ — ВРАГ РЕВОЛЮЦИИ

На арабском языке

© الترجمة الى اللغة العربية – دار التقدم ، ١٩٧٤

طبع فى الاتحاد السوفييتى

$C\frac{10303\text{-}590}{014(01)\text{-}74}$ 491—74

تمهيد

ان التصارع التاريخى الهائل بين الديمقراطية والرجعية ، بين الحرية والعنف ، بين الاشتراكية والرأسمالية ، يصبح مع كل مرحلة جديدة من التطور العالمى اكثر تنوعا من حيث مضمونه الاجتماعى واهميته التاريخية واشكاله . وقد اتسم فى النصف الثانى من القرن العشرين بطابع عالمى شامل حقا . فقد شمل هذا التصارع جميع ميادين العلاقات الطبقية ، وجميع الجوانب الاجتماعية-الاقتصادية والسياسية والايديولوجية والثقافية والاخلاقية-الادبية للحياة الاجتماعية . وانجرت اليه بصورة مباشرة او غير مباشرة جميع البلدان والشعوب ، وكل الطبقات والفئات الاجتماعية ، وكافة المنظمات السياسية والاجتماعية .

ويتلخص الاتجاه التاريخى الحاسم لهذا التصارع فى ان قوى الديمقراطية والثورة والاشتراكية تتطور بخط صاعد ، وتتنامى وتحتل مواقع جديدة دوما وتتغلغل فى ميادين الحياة الاجتماعية الاوسع وتكسب جماهير متزايدة على الدوام من الشغيلة . وبالعكس ، تسير قوى العدوان والرجعية والامبريالية بالخط الهابط ، فتفقد مواقعها الاجتماعية-الاقتصادية والسياسية وقواها الحيوية وسمعتها ونفوذها بين الجماهير .

فى النصف الثانى من القرن العشرين بدأ واحد من الاطوار الرئيسية للازمة العامة للرأسمالية . ويتميز هذا الطور بعمليات متشابكة

تجسد فى آن واحد العوامل الكمية لتعفن الرأسمالية والظواهر الجديدة نوعيا والتى تدل على الخور الداخلى لنظام رأسمالية الدولة الاحتكارية نفسه .

يستمر بالتقلص ميدان نفوذ الرأسمالية وانتزاع بلدان جديدة منه ، ويزداد عدد البلدان ذات الاتجاه الاشتراكى . هذا اولا .

وثانيا ـ تتكبد الرأسمالية هزائم جديدة متلاحقة فى المباراة التاريخية العالمية مع النظام الاشتراكى . واتضح عجز الرأسمالية عن مواجهة تحدى الاشتراكية التاريخى والاجتماعى . وفقدت الرأسمالية المبادرة التاريخية التى انتقلت نهائيا الى الطبقة العاملة العالمية والى وليدها الرئيسى ـ النظام الاشتراكى العالمى .

ثالثا ـ اتضح عجز الرأسمالية عن حل اهم قضايا العصر التى طرحتها متطلبات التقدم الاجتماعى والثورة العلمية-التكنيكية والزيادة الهائلة فى السكان .

رابعا ـ اشتدت جميع التناقضات القديمة للرأسمالية فى الطور الراهن من ازمتها العامة وصارت تتميز بطابع ممض على نحو متزايد . والتجسيد المركز لهذا الامر هو التناقض بين العمل والرأسمال واشتداد حدة توتر المعارك الطبقية واتساع جماهيريتها وتعمق مضمونها الاجتماعى-السياسى .

ومن الادلة الهامة على تعمق الازمة العامة للرأسمالية ظهور أشد التناقضات الجديدة ، وفى المقام الاول منها : عدم التلاؤم بين الثورة العلمية-التكنيكية وبين الاشكال المحافظة العتيقة لتطورها ، وعدم التلاؤم بين الاتجاه الموضوعى نحو التخطيط والتناسق فى تنظيم الانتاج على النطاق الوطنى وبين العفوية وصراع المزاحمة فيما بين الاحتكارات . وظهر كذلك تناقض حاد خاص بين استخدام

الاحتكاريين لمنجزات العلم والتكنيك بغية ابتزاز اكبر قدر من الارباح وبين البيئة الجغرافية .

ان الصدام بين القوى المنتجة وبين علاقات الانتاج الرأسمالية ، وازمة البنية الاقتصادية للمجتمع الامبريالى يشتدان فى ظروف وتائر تطور الانتاج الاعلى مما فى مطلع القرن العشرين (مع ما يرافق ذلك طبعا من ظواهر الكساد المتتالية) . الا ان هذه الوتائر اوطأ كثيرا من وتائر تطور الانتاج فى المنظومة الاشتراكية العالمية . ويدل ذلك على وجود امكانيات كامنة هائلة ، بفضل الثورة العلمية-التكنيكية ، للتعجيل بتطوير الانتاج فى الآونة الراهنة ، وبالتالى لحل كثير من المشاكل الاجتماعية المختمرة . الا ان الرأسمالية لا تستخدم ولا تستطيع ان تستخدم هذه الامكانيات الكامنة استخداما كاملا لهذا الحد او ذاك .

ويجرى تعمق ازمة الاسس السياسية لسيطرة البرجوازية الاحتكارية بالشكل التضليلى لنشاطات النظام البرلمانى الذى يبدو من حيث الظاهر قادرا على الحياة .

ان تفسخ الاسس الاخلاقية - الادبية للمجتمع والانحطاط الاخلاقى وعبادة العنف وتفاقم الاجرام لدرجة هائلة واشتداد عمليات الاغتراب – كل ذلك يجرى فى جو التقدم العلمى - التكنيكى وبعض التحسن الذى احرزته الجماهير فى ظروف الحياة المادية والثقافية وعلى خلفية من الانتشار الواسع نسبيا للمعلومات و الاعلام والمعارف .

ويجرى انحطاط الثقافة البرجوازية وتطورها المعقد المشوه فى الوقت ذاته فى جو من تزايد تعلم السكان فى البلدان الرأسمالية الاساسية .

ويمكن الخروج بالاستنتاج المبدئى الهام التالى من التحليل العلمى لهذه العمليات والاتجاهات والظواهر : ان هذه او تلك من وقائع تطور المجتمع فى ظروف سيطرة رأسمالية الدولة الاحتكارية تحدث ليس بفضل هذه الرأسمالية ، بل خلافا لجوهرها الرجعى ، وفى التصارع معها . وهى تمثل اختراقا لغلاف الرأسمالية الخارجى المحافظ . ويجرى هذا الاختراق بنتيجة متطلبات الانتاج المادى الذى يتطور موضوعيا ، وتحت الضربات الثوروية للعلم والتكنيك ، وبتأثير نضال الجماهير الاقتصادى والسياسى .

وكل ذلك يدل على تزايد الحاجة الى طفرة نوعية من الرأسمالية الى الاشتراكية ، وعلى الضرورة الحيوية للتحويل الثورى للمجتمع الرأسمالى . فالثورة الاشتراكية مختمرة بكامل مجرى التطور الموضوعى للمجتمع الرأسمالى .

ان التعمق اللاحق للصراع الطبقى وانتقال الطبقة العاملة بالاشتراك مع حلفائها الى التحويلات الثورية المباشرة يتوقفان بشكل مباشر على حالة العامل الذاتى ، اى على نضوج واستعداد الجيش السياسى للثورة .

ان القوة المحركة الاساسية للثورة هى الطبقة العاملة التى تنمو عدديا وتنضج سياسيا وتتمرس ايديولوجيا بصورة متزايدة اثناء المعارك الطبقية الطاحنة وفى جميع اشكال هذه المعارك . فالطبقة العاملة تترأس جميع القوى الثورية المعادية للامبريالية ، وهى توجه ضربات شديدة متزايدة الى مواقع البرجوازية الاحتكارية . ونتيجة لاعمال الطبقة العاملة تجرى فى البلدان الرأسمالية تغيرات غير منقطعة فى توزيع القوى الطبقية وتتعزز مواقع المناضلين فى سبيل السلام والديمقراطية والاشتراكية .

ويعود الدور القيادى والتنظيمى والتوجيهى فى هذه المعارك الطبقية الى الحركة الشيوعية التى هى القوة السياسية الاكثر نفوذا وجماهيرية وتنظيما ونشاطا فى العصر الحاضر ، والتى تتزعم فعلا التقدم الاجتماعى للبشرية .

ولدى التنويه بتزايد الوعى السياسى والتنظيم الكفاحى للطبقة العاملة يجب ان نأخذ بعين الاعتبار وجود فئات اقل وعيا واضعف تنظيما فى هذه الطبقة . ويشمل هذا القول خصوصا الفئات التى انخرطت مؤخرا فى صفوف الطبقة العاملة . زد على ذلك ان فصائل مختلفة من الطبقة العاملة تتمسك باتجاه ايديولوجى غير متماثل ، وان بعضها لم يحدد بعد اتجاهه الفكرى-السياسى . ويلاحظ تمايز اكبر فى الآراء الفكرية-السياسية بين فصائل الشغيلة غير البروليتارية ، ولدى الفئات المتوسطة .

ان البرجوازية الاحتكارية تستخدم ذلك كله لكى تحول دون اعداد العامل الذاتى للثورة ولكى تمنع وحدة اعمال الطبقة العاملة وتعيق التحالف بين القوى اليسارية وتشكيل كتلة جماهيرية مناوئة للامبريالية. وتشغل قضية النضال فى سبيل كسب الجماهير مكان الصدارة فى الصدام الحاسم بين قوى الحرية والعنف ، بين الديمقراطية والرجعية ، بين الثورة والثورة المضادة .

ولقد وضعت البرجوازية الاحتكارية جهازا معقدا ومرنا لدرجة كبيرة للحفاظ على الذات فى مواجهة التأثير الشامل للمنظومة الاشتراكية العالمية وفقدان المبادرة التاريخية واشتداد هجوم الطبقة العاملة وجميع القوى الثورية التحررية الوطنية . وتعتبر القوة الاقتصادية للاحتكارات وجهاز الدولة ووسائل الاعلام الهائلة والقمع السافر ضد الشغيلة الى جانب بعض التنازلات الفعلية والديماغوغية الاجتماعية وشراء ذمم

المترددين على المكشوف والمغازلة السياسية والتأثير الايديولوجي جزء لا يتجزأ من جهاز الصيانة الذاتية للبرجوازية الاحتكارية .

ان الاحزاب الشيوعية اذ تمارس النضال الواسع فى سبيل كسب الجماهير استنادا الى خبرة ونجاحات الاشتراكية القائمة فعلا واسترشادا بنظرية الماركسية-اللينينية تستهدف شل تأثير جهاز الصيانة الذاتية البرجوازى والاخذ بيد جماهير الشغيلة المتزايدة الاتساع ومساعدتها على تفهم مهام واشكال واساليب احراز السلام والديمقراطية والحرية والانتقال الى الاشتراكية .

وفى هذه المعركة الجبارة التى تخوضها الطليعة الشيوعية فى سبيل كسب الجماهير واشراكها فى النشاط الثورى التحويلى وفى النضال من اجل وحدة جميع القوى المعادية للإمبريالية وللاحتكارات تذلل الاحزاب الشيوعية ليس فقط ضغط الايديولوجية والسياسة البرجوازيتين الهائل ، بل والتأثير التخريبى للاصلاحية والتحريفية النظرية والانتهازية السياسية من كل شاكلة وطراز . ان النضال ضد جميع اشكال الانتهازية وتلاوينها هو الشرط اللازم لزيادة القدرة الكفاحية للحركة الشيوعية نفسها ورص صفوفها .

ان التحريفية المعاصرة هى ظاهرة معقدة متعددة الجوانب من حيث منابعها الاجتماعية ومحاججاتها النظرية واشكالها التنظيمية . ويمارس نشاطا فى الحركة العمالية التحريفيون اليمينيون و « اليساريون » ، والقوميون والماويون وهلمجرا . وبالرغم من كل الفروق فى التيارات والمدارس والاتجاهات التحريفية فان القاسم المشترك بينها هو انكار الاهمية الاممية للماركسية-اللينينية وانكار ديالكتيك الاممية والوطنية والتمسك بالمعاداة الشرسة للاتحاد السوفييتى وللشيوعية .

كما تلحق ضررا كبيرا بالنشاط الثورى التحويلى للطبقة

العاملة والشغيلة جميعا مختلف الجماعات والكتل السياسية الدعية التي تسعى الى التغلغل في صفوف الحركة العمالية وحركة التحرر الوطني . وتتغذى هذه الجماعات والكتل من نسغ الثورة الحي وتستغل نجاحات نضال الجماهير الثوري واخفاقات المعارك الثورية وهزائم الحركة العمالية والتحررية على حد سواء . ومن بين هذه الظواهر مختلف انواع النزعة الثوروية اليسارية المغامرة المتطرفة ، بما في ذلك الماوية والتروتسكية وغيرهما .

ان الاحزاب الشيوعية التي تؤدي واجبها التاريخي وتضطلع بدور الطليعة تمارس نضالا هجوميا نشيطا ثابتا ضد التحريفية اليمينية و«اليسارية» ، ضد الماوية والتروتسكية ، في سبيل المبدئية الطبقية البروليتارية في النضال ضد الاحتكارات ، وفي سبيل الخط الثوري الثابت ونقاوة الماركسية-اللينينية وتطويرها الخلاق . وهي تأخذ بعين الاعتبار توجيهات لينين المبدئية وتأكيده مرارا على « ان الانتهازية ليست صدفة ولا خطيئة ولا هفوة ولا خيانة من قبل اشخاص معينين ، وانما هي نتاج اجتماعي لعصر تاريخي كامل » * .

وتحلل الاحزاب الشيوعية الجذور والاسباب والمنابع الاجتماعية والتاريخية والعرفانية والسياسية لظهور وانتعاش وانتشار الانتهازية المعاصرة عموما وبعض تياراتها خصوصا ، وتحدد بصورة علمية طرق واشكال وطرائق ازالة تأثيرها على الشغيلة .

ويسهم الحزب الشيوعي السوفييتي بقسط كبير في النضال من اجل نقاوة الماركسية-اللينينية وتطويرها الخلاق ومن اجل تطبيق الخط البروليتاري بثبات في الحركة الثورية . ان الحزب الشيوعي السوفييتي

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٦ ، ص ٢٥٣ .

واحد من الاحزاب الشيوعية المتكافئة . ولكنه ، بحكم الخبرة التى جمعها والمنجزات النظرية والدور التاريخى الذى يضطلع به الشعب السوفييتى تحت قيادة هذا الحزب ، انما يتحمل اكبر المسؤولية ازاء قضية السلام والديمقراطية والاستقلال الوطنى وازاء انتصار الثورة والاشتراكية وازاء مستقبل الشعوب والحضارة المعاصرة بكاملها .
ولقد خاض الحزب الشيوعى السوفييتى ويخوض نضالا لا هوادة فيه ضد جميع تيارات التحريفية والانتهازية فى الحركة العمالية والشيوعية على اساس التطوير الخلاق للماركسية-اللينينية والاخلاص لمبادئ الاممية البروليتارية .

١ ـ التروتسكية المعاصرة سلاح لمعاداة الشيوعية

في دوامة الاحداث الاجتماعية العاصفة الجبارة يولد ويفنى غير قليل من مختلف التيارات السياسية التى تجسد بنحو او بآخر العملية المعقدة لتعاظم نشاط جميع القوى الديمقراطية المناهضة للامبريالية والرأسمالية .

وتعتبر التروتسكية واحدة من الظواهر السياسية المتميزة فى الحياة الاجتماعية الراهنة .

ومن المعروف ان التروتسكية ، كتيار سياسى ، قد منيت فى حينه باشنع هزيمة فكرية سياسية وازيحت ليس من صفوف الحركة الشيوعية فقط ، بل والحركة العمالية ايضا . وكان ذلك قد تم بفضل الموقف المبدئى للحزب الشيوعى السوفييتي والحركة الشيوعية العالمية جمعاء . وتحولت التروتسكية فى الواقع الى جثة سياسية هامدة ، كما تحولت المنظمات التروتسكية الى جماعات منعزلة من اناس يطحن بعضهم بعضا .

ولكنه لوحظ منذ منتصف الستينات شيء من الانتعاش فى التروتسكية وبعث المنظمات التروتسكية وتزايد نشاطها . فقد ازداد نشاط المنظمات التروتسكية فى فرنسا وبريطانيا وبلجيكا والولايات المتحدة الاميركية وجمهورية المانيا الاتحادية واميركا اللاتينية . وانتعشت كذلك الاممية الرابعة بالرغم من انعدام الوحدة فيها . وفى الآونة الاخيرة ازدادت كثيرا كمية الادبيات التى يصدرها التروتسكيون .

ومارس التروتسكيون الدعاية الصاخبة لآرائهم . وتجلى تيار سياسى معين جرت العادة على تسميته « بالتروتسكية المعاصرة » .

ويتابع التروتسكيون المعاصرون من حيث الاساس تأييدهم لافكار تروتسكى ونشرها . وبهذا المعنى يحق لنا تماما القول بان التروتسكية المعاصرة هى عبارة عن مواصلة للنشاط التروتسكى . ولكنه من الصعب جدا ، بل ومن المستحيل فى بعض الحالات ، استخدام احكام تروتسكى استخداما تاما فى الوضع التاريخى الجديد . ولذلك تتعرض آراء تروتسكى الى تكييف وتغيير كبيرين فى مؤلفات التروتسكيين المعاصرين ، بل وفى بعض الحالات يمكن ان يتكون انطباع وكأن التروتسكيين المعاصرين يتمسكون بآراء مغايرة لآراء تروتسكى بشأن عدد من المسائل . زد على ذلك ان بعض نظريى الاممية الرابعة يعلنون ان آراء تروتسكى بشأن هذه القضية او تلك قد عتقت وان من الضرورى اعادة النظر فيها . وتجرى بالفعل محاولات لاعادة النظر فى آراء تروتسكى ، ولكن بروح التروتسكية ذاتها . ويمكن ان يخلق ذلك انطباعا لدى الناس غير المطلعين وكأن المرء يواجه تيارا فكريا-سياسيا متجددا . ومما يحمل هؤلاء لدرجة ما على مثل هذه التصورات الخاطئة مصطلح « التروتسكية الجديدة » الذى تستخدمه الصحف احيانا .

اما فى الواقع فان التروتسكية المعاصرة هى ، من حيث منابعها الاجتماعية ومنهجها ، ولا سيما من حيث اتجاهها السياسى ودورها فى الحركة العمالية (وهذا هو الاهم طبعا) ، استمرار لنظرية وتاكتيك وسياسة التروتسكية التقليدية . فالتروتسكيون المعاصرون هم ورثة تروتسكى الفكريون . والتغيرات التى جرت فى سياسة وتاكتيك التروتسكيين المعاصرين ما هى الا محاولات لتكييف آراء تروتسكى

للظروف الجديدة بغية حل نفس المهام وبلوغ نفس الاهداف التى كان تروتسكى يتوخاها فى حينه . ولذلك لا يجوز الكلام عن مرحلة جديدة ما فى تطور التروتسكية .

ان التروتسكية قائمة خارج اطار الحركة الشيوعية . الا ان هذه النزعة الثوروية اليسارية المتطرفة تحاول ان تمارس ضغطا على سياسة الاحزاب الشيوعية . ويتميز التحليل العلمى للاسباب الاجتماعية والمنابع الفكرية للتروتسكية بأهمية مبدئية فى النضال السياسى والايديولوجى الراهن وفى العمل بين الجماهير وفى رسم الخط السياسى الصائب للمنظمات الديمقراطية .

وينبغى النظر الى انتعاش التروتسكية الملحوظ فى السنوات الاخيرة باعتباره نتيجة لمفعول كثير من الاتجاهات المعقدة والمتناقضة احيانا والتى تحدد تطور التاريخ . ومن الخطأ البحث عن سبب معين واحد لانتعاش النشاط التروتسكى . فقد تناولت التروتسكية المعاصرة جرعة منعشة على خلفية من الاشتداد الهائل لتناقضات اسلوب الانتاج الرأسمالى وتعمق ازمة الاسس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والايديولوجية والاخلاقية للرأسمالية ، تلك الازمة التى تولد المزيد من الحقد على النظام الاستغلالى لدى مختلف الفئات الاجتماعية ، وتستنهضها لممارسة النشاط السياسى ، كما تدفعها فى حالات كثيرة الى اعمال التمرد العفوية .

وتدرك البرجوازية الاحتكارية جيدا الخطر الذى ينطوى عليه تزايد الاستياء بلا انقطاع لدى فئات متسعة من الشغيلة ، وتسعى الى وضع جهاز الصيانة الذاتية ، اى مجمل الاجراءات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والايديولوجية .

ويعود الدور الحاسم فى جهاز الصيانة الذاتية هذا الى المناورة

الاجتماعية-الاقتصادية والديماغوغية الاجتماعية . وتحاول البرجوازية الاحتكارية تحسين نظامها الاجتماعي - الاقتصادى بصورة تستطيع معها الحفاظ كليا على مواقعها الاقتصادية والسياسية من جهة ، وتقديم تنازلات معينة للطبقة العاملة وجميع الشغيلة من جهة اخرى . ويوجه الساسة والاقتصاديون البرجوازيون جهودهم الى تنفيذ اجراءات من شأنها ان تموه وتخفف اكثر جوانب الرأسمالية سلبية . وتحاول الرأسمالية ان تتكيف للوضع الحديث وتبحث عن رد على ثلاثة تحديات للعصر الحاضر : اسلوب الانتاج الاشتراكى الذى يجسد الاتجاه التقدمى تاريخيا للتطور الاجتماعى ؛ والثورة العلمية-التكنيكية التى هى عبارة عن اتجاه ثورى تقدمى لتطور القوى المنتجة ؛ والطبقة العاملة التى تجسد الخط الثورى لتطور المجتمع ، ذلك الخط الذى يؤدى فى آخر المطاف الى انهيار الرأسمالية .

وتشير البحوث الماركسية بكل حق الى ان جميع محاولات الاحتكاريين للاجابة عن هذه الاسئلة تؤدى فى آخر الامر الى اشتداد تناقضات الرأسمالية لا غير. الا ان البرجوازية الاحتكارية فى البلدان الرأسمالية المتطورة استطاعت طوال ربع القرن الاخير ان تجد بصورة مؤقتة مخرجا من الصعوبات وان تؤجل حل هذه التناقضات الذى لا يمكن تحقيقه الا بالطرق الثورية. وهى تستخدم لهذا الغرض المناورة الاجتماعية والسياسية والايديولوجية المتحايلة المعقدة جدا . واستطاع الاحتكاريون ان يحافظوا على سيطرتهم ومواقعهم الاقتصادية وان يؤمنوا نمو الانتاج وزيادة الارباح وان يحولوا دون هبوب العواصف الثورية . ويحاول ايديولوجيو البرجوازية ان يصوروا الرأسمالية للجماهير الشعبية بمثابة ظاهرة اجتماعية جرى تجديدها وتحسينها واصلاحها .

الا ان مناورة الاحتكاريين الاقتصادية وتنازلاتهم السياسية وممارستهم للتأثير الايديولوجي على الجماهير لم تعد تساعدهم اليوم كثيرا في الحفاظ على مواقعهم . وفي اواسط الستينات اتضح اتجاه نحو اشتداد وتأزم التناقضات الامبريالية وتعاظم العواصف الثورية الجديدة . وان موجات الحركة الاضرابية الجبارة في ايطاليا والنزاع الوطني الشديد للغاية بين الشغيلة الفرنسيين والنخبة الحاكمة في ايار — حزيران (مايو — يونيو) ١٩٦٨ ، والاضرابات الربيعية والصيفية في اليابان ، وتعاظم النضال الاضرابي في بريطانيا وفي جمهورية المانيا الاتحادية والبلدان السكندينافية ، واشتداد النزاعات الاجتماعية والعنصرية والسياسية في الولايات المتحدة الاميركية — كل ذلك دليل على اشتداد عدم الاستقرار الداخلي للرأسمالية . وتشير وثائق احزاب شيوعية كثيرة الى ان معالم النهوض الثوري الجديد ترتسم بوضوح متزايد .

وفي هذه الظروف تكتسب اهمية حاسمة مسألة الجماهير التي اشتد الصراع في البلدان الرأسمالية من اجل كسبها . ويدل اشتداد التناقضات الطبقية على ان البرجوازية الاحتكارية تواجه صعوبة متزايدة في الحفاظ على نفوذها الايديولوجي بين الجماهير . ويصبح اكثر وضوحا اتجاه انتقال الجماهير الى المواقع الثورية . واضطرت البرجوازية الاحتكارية الى البحث عن اساليب وطرق جديدة للحيلولة دون ظهور الميول الثورية لدى الجماهير الشعبية .

وطوال سنين عديدة كان الجناح اليميني للاشتراكية-الديمقراطية القوة السياسية الرئيسية التي ساعدت البرجوازية الاحتكارية في الاحتفاظ بتأثيرها على جماهير واسعة من الشغيلة . ولا تزال الاشتراكية الاصلاحية حتى الآن احتياطيا هاما للبرجوازية الاحتكارية . الا ان

اوهام الاشتراكية الاصلاحية لم تعد كافية بالنسبة للمرحلة الراهنة . ويجتاح الحقد على المجتمع الرأسمالى وتشمل الميول الثورية فئات جديدة متزايدة من الشغيلة : الفئات المتوسطة والمثقفين والطلبة والفلاحين . ومن الوسائل الفعالة لوقف الخطر الثورى المتعاظم والحيلولة دون الانفجار الثورى استخدام النزعة الثورية الزائفة . وكانت لقية نادرة بالنسبة للبرجوازية شتى انواع الكتل اليسارية المتطرفة : الماوية والفوضوية والتروتسكية . وقد استفادت البرجوازية الاحتكارية من الشعارات الثورية الجوفاء لدى اليساريين المتطرفين بغية توجيه الطاقة الثورية لدى الشغيلة فى طريق غير قويم . فان زعماء هذه الكتل الذين يتلاعبون بالشعارات والالفاظ الثورية لا يشكلون فى الواقع اى خطر على اسس اسلوب الانتاج الرأسمالى . وتتلخص الوظيفة الاجتماعية والدور التاريخى لليساريين المتطرفين فى كونهم يعيقون تطور الثورة عمليا حينما يدعون لهذه الثورة بالاقوال فقط.

الا ان ذلك لا يعنى ان التيارات الثورية المتطرفة قد خلقتها البرجوازية الاحتكارية بصورة مفتعلة ، كما يزعم بعض الباحثين . فالنزعة الثورية اليسارية المتطرفة ظهرت عفويا فى احشاء الحركة الديمقراطية والوطنية التحررية ، بل وحتى الحركة العمالية . وان منابعها الاجتماعية والسياسية والعرفانية متنوعة ومتناقضة للغاية . وهى وليدة صعوبات تطور العملية الثورية ، وتعقد اعداد وتحقيق الثورة الاشتراكية .

ان النزعة الثورية الزائفة تظهر بغض النظر عن البرجوازية الاحتكارية . الا ان هذه الاخيرة تستخدم ، بل وتستحث نشاط المنظمات الثورية الزائفة . فان مسيل الادبيات التروتسكية فى البلدان الرأسمالية مثلا كبير الى درجة ولا يتناسب مع قلة عدد المنظمات

التروتسكية ومع القاعدة المادية للتروتسكية المعاصرة ، مما يدفع المرء الى الاعتقاد بوجود امكانيات اضافية يتمتع بها التروتسكيون فى نشر آرائهم . وبالفعل فان مؤلفات تروتسكى والتروتسكيين العديدة تطبع اليوم فى مختلف انواع الصحف ودور النشر البرجوازية اللبرالية وشبه اللبرالية .

ويعكس التروتسكيون لدرجة ما الميول والآراء العصيانية العفوية غير الواعية لدى الفئات الوسطى من سكان المدن والمثقفين ، والطلبة على وجه الخصوص. ونظرا لان الاحتجاج العفوى الموجه ضد اسس النظام الرأسمالى فى حالات كثيرة جدا لم يحصل على صياغة نظرية فى ادراك العديد من المناضلين غير المحنكين سياسيا ، يحاول التروتسكيون ان يفرضوا على هؤلاء تصورات ايديولوجية وسياسة مشوهة . والتروتسكية تتغذى فى وقت معا من نسغ هذه الثورية البرجوازية الصغيرة العفوية وتشدد هذه الثورية العفوية باعمالها وشعاراتها السياسية .

وينبغى دراسة انتعاش التروتسكية المعاصرة كذلك على خلفية تفاوت نضوج الظروف الموضوعية والذاتية للثورة ، والصعوبات التى تكتنف تطور العملية الثورية العالمية . وفى جو النمو العاصف للميول الثورية العفوية من جهة ، والوتائر البطيئة نسبيا لتطور الحركة الثورية فى البلدان الرأسمالية الاساسية من جهة اخرى ، يتكون لدى فئات السكان غير الثابتة طموح الى التعجيل بالاحداث بصورة مصطنعة . ويعكس التروتسكيون نفاد الصبر الثورى هذا ، ويشددونه ويحاولون دفع فئات اجتماعية معينة الى الاعمال المغامرة . ويعرض التروتسكيون وصفات مصطنعة للتعجيل بتطور الثورة ، ومختلف انواع طرق الدفع المصطنع للعملية الثورية ، ويدعون الى الاعمال « الثورية » الفورية . ويوجد بين الجماهير الهائلة من الشغيلة غير البروليتارية المنخرطة فى

النشاط السياسى الحثيث اناس يصيخون بالسمع الى هذه النداءات .

ثم انه ينبغى النظر الى انتعاش التروتسكية المعاصرة على ضوء ازمة طائفة من المنظمات الراديكالية اليسارية . فمن المعروف ، مثلا ، ان منظمات « اليساريين الجدد » السياسية قد ازدهرت بفخفخة فى مطلع الستينات . غير انه اخذ يتعرى فى مجرى تطور النضال السياسى بطلان الاسس النظرية لليساريين وانعدام الاهداف الايجابية لديهم والافراط فى الاهتمام بالاعمال التخريبية وعدم الثقة بالمستقبل والتشاؤم العميق . وظهرت بين المثقفين والطلبة خيبة امل فى مختلف النظريات والمبادئ السياسية لكثير من الجماعات اليسارية . ولم تعد مبادئ ايديولوجيى « اليساريين الجدد » ، من امثال ماركوزه ، تحظى بنفس الشهرة التى خلقت فى السابق وهما بان هذه المبادئ ستغدو راية ايديولوجية للحركة اليسارية المتطرفة . وتعانى منظمات « اليساريين الجدد » من ازمة خطيرة . وعانت من ظواهر الازمة او تعانى منها كذلك التيارات والجماعات الراديكالية اليسارية الاخرى .

ان نطاق حركة فئات الشغيلة غير البروليتارية وعدم نضوجها السياسى والعبء الهائل لايديولوجية وسيكولوجية الملكية الخاصة — كل ذلك يخلق صعوبة امام نشر الآراء الثورية حقا والمعللة علميا بين هذه الفئات . وان اتحاد الحركة الديمقراطية مع الماركسية-اللينينية هو عملية معقدة وعسيرة جدا ، عملية تتطلب جهودا هائلة ووقتا طويلا .

ويحاول التروتسكيون استخدام ازمة التيارات الراديكالية اليسارية الاخرى وصعوبات انتقال فئات الشغيلة الواسعة الى مواقع الطبقة العاملة ، فيعرضون في كل مكان وفرة من بضاعتهم الايديولوجية مغلفة باغلفة ثوروية متطرفة صارخة باعتبارها اكثر الوسائل فعالية ،

كما يزعمون، فى النضال ضد البرجوازية. وهم يتطفلون على التصورات الخاطئة بشأن اهداف النضال واشكاله وطرقه، تلك التصورات الملازمة لفئات الشغيلة غير البروليتارية .

ومما ساعد لدرجة كبيرة على انتعاش التروتسكية النشاط الانقسامى لقيادة الحزب الشيوعى الصينى وعلى رأسها ماو تسى تونغ فى الحركة الشيوعية العالمية . فمن المعروف ان الماويين انتهجوا فى مستهل الستينات خط فرض زعامتهم الايديولوجية والسياسية . واستطاعوا ان يلحقوا ضررا جسيما بالتنظيمات الشيوعية فى بعض البلدان . وتسنى للماويين ان يقودوا وراءهم عدة احزاب شيوعية . وسارت الامور فى بعض الاحزاب الى الانشقاق ، فى حين اشتدت فى بعضها الآخر الميول اليسارية المتطرفة . وتشكلت فى جميع البلدان الرأسمالية تقريبا منظمات ماوية . وصدرت الادبيات الماوية على نطاق واسع فى بلجيكا وسويسرا وايطاليا . وكان ذلك كله يستهدف اضعاف القدرة الكفاحية للصفوف الشيوعية . وكان التروتسكيون الذين هللوا لنشاط الحزب الشيوعى الصينى الانقسامى يسعون الى كسب رأسمال سياسى من الصعوبات التى نجمت عن ذلك فى الحركة الشيوعية . وعندما بدأت ازمة الجماعات والتنظيمات الماوية ، التى كانت تعمل فى كثير من البلدان ، وذلك تحت تأثير الانتقاد المبدئى الذى وجهته الاحزاب الشيوعية الى المبادئ الفكرية والسياسية للماوية وبفضل النضال الثابت ضد نشاط الحزب الشيوعى الصينى الانقسامى اسرع التروتسكيون للاستفادة من ذلك فى توسيع نفوذهم ومواقعهم .

ان الضرر الذى يلحقه الترتسكيون بالحركة العمالية وحركة التحرر الوطنى وان مهمة مواصلة تشديد العمل بين الجماهير ومن

اجل كسب الجماهير يستدعيان ضرورة تقوية النضال الفكرى السياسى ضد التروتسكية .

غير انه ليس من الصواب المبالغة فى خطر التروتسكية . فان الدراسة الشاملة للتروتسكية فى النظرية والتطبيق وتحليل موقف مختلف فئات الشغيلة منها يساعدان على الاستنتاج بان انتعاش التروتسكية يتسم بطابع عرضى مؤقت وان هذا التيار تنهشه التناقضات الداخلية وهو غير قادر على الحياة .

فالتروتسكية، قبل كل شىء ، لا تمتلك سندا اجتماعيا مستقرا متينا . ويحاول التروتسكيون بعناد ان يصوروا انفسهم بمثابة تنظيم سياسى للطبقة العاملة ويسعون بكل الوسائل الى التغلغل فى بيئة العمال . الا ان الطبقة العاملة لم تتقبل التروتسكيين ، ولا فى بلد واحد ، بمثابة ممثلين سياسيين عنها ، ولم يستطع التروتسكيون فى ايما مكان ان يقودوا وراءهم ولو قسما غير كبير من الطبقة العاملة . ويبحث التروتسكيون بصورة محمومة عن سند اجتماعى لهم بين الطلبة وفئات المثقفين الراديكاليين والفئات المتوسطة التى اصابها الخراب والافلاس من سكان المدن . وفى اماكن ما يوفق التروتسكيون مؤقتا فى بذر بذورهم ، ولكن حتى فى هذه الفئات لم تستطع التروتسكية ان تجتذب الى جانبها عددا من الشغيلة كبيرا لهذه الدرجة او تلك . وليس نادرا ان تخيم خيبة الامل على المخدوعين بالديماغوغية التروتسكية ، ثم تتفتح عيونهم على الحقيقة .

ومن الادلة الهامة على ضعف التروتسكية عجزها عن وضع منهاج فكرى سياسى متكامل . فان التيار التروتسكى ، غير الكبير نسبيا من حيث العدد والنفوذ ، يتكون من عدد كبير من الجماعات والكتل التى

تتهم بعضها البعض تارة بالجمود العقائدى ، وتارة بالتحريفية ازاء اقوال تروتسكى ، وتارة ثالثة بالارتداد وهلمجرا .

ويقابل الازمة الفكرية السياسية تشتت تنظيمى فى الاممية الرابعة نفسها ، كما فى التنظيمات التروتسكية فى بلدانها . فالاممية الرابعة غير موجودة عمليا كمنظمة عالمية موحدة ، اذ انها انقسمت على نفسها فى الخمسينات والستينات . وتعمل الآن ، على اقل تقدير ، اربع منظمات تدعى بانها تمثل الاممية الرابعة ، وهى : اللجنة العالمية للاممية الرابعة ومقرها فى لندن ، والسكرتارية العالمية للاممية الرابعة (باريس) ، والسكرتارية الموحدة للاممية الرابعة ، او الاتجاه الماركسى-اللينينى للاممية الرابعة (وهو مجموعة تدعو الى تكييف الآراء التروتسكية للظروف الراهنة تكييفا اكثر مرونة ومناورة) ، ثم السكرتارية الاميركية اللاتينية للاممية الرابعة وهى تمثل اغلبية تروتسكيى اميركا اللاتينية وعددا من الجماعات التروتسكية فى البلدان الاوربية .

وفى السنوات الاخيرة تعالت مرارا نداءات لتصفية الانشقاق التنظيمى فى المنظمات التروتسكية وتجديد الاممية الرابعة . وجرت بعض المحاولات لتوحيد الجماعات التروتسكية العالمية ، الا ان ذلك ادى الى انقسامات جديدة والى اشتداد التناقضات بين التيارات التروتسكية .

واجتاح التشتت الفكرى والسياسى كذلك المنظمات التروتسكية فى بلدانها . ففى كل بلد تعمل ، كقاعدة عامة ، اربع او خمس او ست منظمات وجماعات تروتسكية متعادية فيما بينها . ويجرى تشكيل المنظمات التروتسكية ثم تفككها ، وتوحيدها ثم تفرقها . انها فى حالة فوضى تنظيمية .

ومن العوامل الجدية لضعف التروتسكية طابعها الكوزموبوليتانى. فالتروتسكيون لم يرتبطوا ولم يكن باستطاعتهم ان يرتبطوا باية فصيلة وطنية للطبقة العاملة . وهذا امر يفيد الساسة البرجوازيين كل الفائدة . فالثوريون الناعبون بلا اساس قومى وبلا استناد الى طبقة عاملة وطنية فعلية انما هم عاجزون دوما . وكان انعدام الاساس القومى قد ساعد التروتسكيين الى حين من الزمن فى ان يتلاعبوا بالنداءات الى الثورة العالمية ، مما جعل البعض يقعون تحت اغراء هذه الثورية الطنانة . وبمر الزمن ، وتحت ضغط قوانين الصراع الطبقى الصارمة ، تعرى الخواء الكوزموبوليتانى لهذه النداءات الصارخة وتكشفت عزلة التروتسكيين عن القوى الثورية الفعلية التى تولد دوما وتنضج وتخوض النضال فى اطر وطنية .

ويمكن ايراد حقائق اخرى تبين الضعف السياسى للتروتسكية وحكم التاريخ عليها بالفناء . الا ان الشيوعيين لا يمكن ان ينتظروا بصورة سلبية ساعة الانهيار التام لايديولوجيتها وسياستها . فالتروتسكية لن تغادر طوعا حلبة التاريخ . وتبين الخبرة ان استصغار شأن الكفاح الايديولوجى ضد التروتسكية ، بله اضعاف هذا الكفاح ، فرصة ينتهزها التروتسكيون لتنشيط عملهم التخريبى . ومر حين كان الشيوعيون فى الولايات المتحدة الاميركية وبعض البلدان الاخرى يعتقدون فيه ان التروتسكية اقل خطرا من التيارات الاخرى فى الراديكالية اليسارية ، فوجهوا جل اهتمامهم الى النضال ضد هذه الكتل اليسارية المتطرفة . وانتهز التروتسكيون فى عدة حالات نجاحات هذا النضال . واسفر عن عواقب سلبية كذلك التاكتيك الخاطئ القائل بضرورة خروج الشيوعيين وممثلى القوى اليسارية الاخرى من المنظمات التى تسرب

اليها التروتسكيون. فقد استولى التروتسكيون على قيادات هذه المنظمات ومارسوا نشاطهم التخريبى على نطاق واسع تحت ستارها .

ومن دواعى النضال النشيط ضد التروتسكية المعاصرة انها تعكس وتجسد ، وان بشكل مشوه ، آراء واوهام الفئات الاجتماعية التى لا تعترف بالاشتراكية القائمة فعلا ولكنها ترفض فى الوقت ذاته سياسة البرجوازية الاحتكارية وتتوق الى النضال ضد سيطرة الاحتكارات . فالتروتسكيون يستغلون الثورية العفوية لدى هذه الفئات وعجزها عن النضال المستقل فيعيقونها عن سلوك طريق الاعمال الثورية الواعية . ويجهد التروتسكيون لكسب ثقة هذه الفئات ويغازلونها لكى يفرضوا انفسهم عليها بمثابة قادة وزعماء .

ويبدى التروتسكيون اكبر قدر من النشاط فى حركة الشبيبة . ويتزايد بين الشباب ، بمن فيهم الطلبة ، تزايدا مطردا عدد الذين يدركون انعدام افاق اسلوب الانتاج الرأسمالى وحدة تناقضاته وعيوبه المستعصية وضرورة القضاء عليه . وان هؤلاء الشباب مستعدون للمعركة ، ويخيل اليهم ان الحماس الثورى وحده كاف لزعزعة اسس سيطرة الاحتكارات . ويحاول التروتسكيون استغلال هذه الميول فيدعون الشباب الى النضالات المسلحة الفورية والى الاشتباكات وراء المتاريس والى اقتحام المؤسسات الحكومية . وفى عدد من البلدان استجاب قسم من الشباب الى نداءات التروتسكيين فنظم عدة نضالات كبيرة . الا ان هذه الاعمال اتسمت بطابع الانفجار الحماسى . وان الطاقة الثورية غير المصحوبة بالوعى الثورى سرعان ما كانت تتعرض للخفوت . وكانت تحل مرحلة خيبة الامال وانعدام الثقة بالنفس والسلبية ، وبالنتيجة تركت فئات الشباب هذه ميدان العمل الثورى فى الواقع .

وعزا التروتسكيون هزائم الشباب واخفاق النضالات الطلابية ليس الى تناسب القوى غير الملائم وليس الى اخطاء التروتسكيين انفسهم، بل الى «خيانة الشيوعيين» و«سلبية العمال المتكاملين مع النظام القائم» . وفي عدد من الحالات استطاع التروتسكيون ان يكسبوا من وراء ذلك رأسمالا سياسيا . وظل نفوذ التروتسكيين باقيا بين الشباب وفي منظمات الشبيبة . وتظل الآمال المعلقة على الشباب هي الفرصة السياسية الرئيسية لدى التروتسكيين .

ان الحقائق المذكورة اعلاه تبين ان مصالح النضال في سبيل السلام والديمقراطية والثورة والاشتراكية ومهمات كسب الجماهير تتطلب تشديد النضال ضد التروتسكية وليس اضعافه . وليس غير الخط السياسي الصائب للاحزاب الشيوعية وخبرة الجماهير الخاصة والكشف المعلل علميا عن بطلان مبادئ التروتسكيين السياسية والايديولوجية ما يساعد على قطع خيط الصلة الطفيلية بين التروتسكيين وبين هذه الفئات او تلك من فئات الشغيلة وترك هؤلاء اليساريين المتطرفين المغامرين عرضة للتفسخ التلقائي التام الذي لاحت بوادره حاليا .

وبغية ادراك تشبث التروتسكية بالحياة ووضع طرق اكثر فعالية لمكافحتها يتعين كذلك ادراك النشاط السياسي للتروتسكيين وتاكتيكهم واشكال واساليب تغلغلهم في المنظمات الجماهيرية ادراكا جيدا .

ان التروتسكية المعاصرة هي نموذج للتقلب اللامبدئي وللديماغوغية السياسية غير النزيهة وللاعمال الاستفزازية . فان الرياء والاقوال الثورية والافعال اللاثورية والنداءات الطنانة الى النضال ضد الامبريالية ونسف نضال الجماهير من الداخل ، ذلك هو جوهر سلوك وتاكتيك التروتسكيين .

ان التروتسكية المعاصرة تخالف اللينينية كل المخالفة ، وهى من الد اعداء نظريتها وتطبيقها . والتروتسكية مضادة للينينية ومعادية لها من حيث اسسها النظرية والسياسية والمنهجية . الا ان التروتسكيين يتسترون على جوهرهم المعادى للينينية تسترا مرائيا عنيدا ، ومن اجل ذلك يكررون الاقاويل عن اخلاصهم للينين . علما بانهم لا يكتفون بمجرد تحريف اللينينية ، كما يؤكد بعض الباحثين ، بل يدرجون ضمن الاحكام اللينينية فحوى تروتسكيا ، والانكى من ذلك انهم ينسبون الى لينين اقوال تروتسكى . ويعلنون ان تروتسكى رفيق لينين المخلص له ، بل والمتابع الوحيد لقضيته . ويتناسى التروتسكيون النضال المبدئى الطويل الامد الذى خاضه لينين بلا هوادة ضد تروتسكى وآرائه النظرية ونشاطه التخريبى . ولكنهم يتاجرون على نحو مشدد باقوال لينين التى استهدفت اشراك تروتسكى فى القضية العامة للثورة عندما اعلن هذا الاخير انه موافق مع البلشفية وانخرط فى صفوف الحزب عام ١٩١٧ . وتحتوى اقوال التروتسكيين على ضجيج لفظى كبير ضد التحريفيين . وهم يفعلون كل ذلك لكى يصوروا التروتسكية على انها تطوير للفكر اللينينى .

ان العنف الفظيع الذى يمارسه التروتسكيون المعاصرون ضد التاريخ وضد الحقائق انما يجرى على امل ان اغلبية المساهمين فى الحركة المعادية للامبريالية ، وخصوصا الشباب ، غير مطلعين على جوهر المعارك الفكرية السياسية التى قامت فى سياق تأسيس وتعزيز الحزب الشيوعى السوفييتى ، وغير مطلعين على ماهية الاعداء الذين تكونت البلشفية وتمرست فى النضال ضدهم ، وغير عارفين بدناءة موقف تروتسكى ازاء قضية اللينينية بعد وفاة قائد البروليتاريا العظيم . ويحاول التروتسكيون المعاصرون ، الى جانب ايديولوجيى البرجوازية ،

ان يصوروا تروتسكى بمثابة مناضل فى سبيل الثورة وقع ضحية عبادة الفرد . وبواسطة الجهاز الدعائى الهائل المتوفر لدى البرجوازية استطاع هؤلاء ان يروجوا بهذه الفكرة فى العالم الرأسمالى .

ويحاول التروتسكيون بكل الوسائل ان يحسبوا تروتسكى فى عداد الثوريين ويصوروا انفسهم بمثابة اساطين حقيقيين ، بل الاساطين الوحيدين للثورة الحديثة . فهم يرفعون الشعارات الثورية فى كل مكان ويدعون ، دون ادنى شعور بالمسؤولية ، الى العمليات المباشرة والى النضالات المسلحة بصرف النظر عما اذا كانت الظروف الموضوعية والذاتية متوفرة ام لا . ويتاجر التروتسكيون ، بمهارة ، بقضايا العصر الملتهبة . فقد اندسوا بين المضربين فى عدد من البلدان ، وساهموا فى بعض الاماكن مساهمة نشيطة فى الاجتماعات الجماهيرية المؤيدة للفييتنام . وحاولوا فى بلدان معينة ان يتزعموا الحركة الفلاحية ، كما يحاولون فى بلدان اخرى ان ينظموا مختلف انواع الاعمال المسلحة .

ان نشاط التروتسكيين المعاصرين هذا يتميز باتجاه محدد تماما . فهم يسعون الى نسف وتفرقة قوى الحركة المناوئة للامبريالية وللاحتكارات فيعملون على خلق انطباع لدى المستغلين وكأن التروتسكيين وحدهم هم المدافعون عن مصالح الشغيلة وهم الذين يفكرون بالثورة. ويسعى التروتسكيون الى خلق انطباع لدى الشباب غير المحنكين والمترددين من المساهمين فى الحركة التحررية وكأنما يمكن للمرء ان يكون ثوريا حقا دون ان يكون شيوعيا .

هناك صلة وثقى كانت ولا تزال قائمة بين مفهومى الشيوعى والثورى . وقد تجسدت هذه الوحدة باسمى شكل فى المعارك المظفرة لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى وفى المعارك الثورية

الاخرى بعدها . وفى هذه الوحدة تكمن قوة تفجيرية هائلة موجهة ضد الرأسمالية . اما التروتسكيون المعاصرون فيبذلون جهودا محمومة لتقطيع اوصال هذه الوحدة . فهم يريدون ان يكونوا ثوريين واعداء للشيوعية فى وقت واحد .

ويتقبل جميع انصار النظام الرأسمالى والقوى المحافظة والليبرالية والاصلاحية والانقسامية هذا الموقف بكل ارتياح ويدعمونه ويروجون له بكل الوسائل . وهم يدركون جيدا ان الثورية بلا شيوعية امر عقيم لا مضمون فيه ولا مستقبل له و لا يهدد اسس المجتمع الرأسمالى .

٢ ـ مذهب خيانة الثورة

كانت التروتسكية ، وجوهرها المتمثل بنظرية الثورة الدائمة ، كتيار سياسى معاد للماركسية ولقضية الثورة ، قد ظهرت الى حيز الوجود فى مطلع القرن العشرين . وآنذاك بالذات تكونت اهم احكام سياستها ونظريتها وتاكتيكها . وحققت التروتسكية ، باعتبارها مجمل الآراء النظرية والمبادئ السياسية المعادية للينينية ، اقصى حد من التطور فى فترة ثورة اكتوبر والحرب الاهلية فى بلاد السوفييت وفى سنوات البناء الاشتراكى .

وتتميز التروتسكية باستنادها الى الاساس المنهجى المثالى الذاتى فى النظرية والتطبيق ، وبالنزعة المغامرة والنزعة الارادية فى السياسة ، وبالرياء والوقاحة وعدم الالتزام المبدئي والماكيافيلية والخيانة والتحول من معسكر الى آخر فى السلوك السياسي . وكان لينين قد قال فى عام ١٩١٤ : «لم يكن تروتسكى يمتلك آراء راسخة ابدا

فى اية مسألة جدية من مسائل الماركسية ، فهو دوما « يندس عبر شقوق » هذه الخلافات او تلك و يتحول من جانب الى آخر » * .

لقد كانت التروتسكية ، كتيار سياسى ، تضمر العداء دوما للينينية وتلتزم بمواقف مضادة لها فى جميع المسائل الجذرية للنضال الثورى وبناء الاشتراكية . ولكى ندرك على نحو صائب مسلك الغدر والوقاحة لدى تروتسكى نفسه ولدى اتباعه المعاصرين ينبغى ان نأخذ بنظر الاعتبار ان اشكال هذا النضال كانت وما تزال تتغير بغية التكيف للنظروف التاريخية المتغيرة .

ففى مطلع القرن العشرين ، عندما كان تروتسكى يأمل باشغال مكانة قيادية فى الحركة العمالية فى روسيا ، شن نضالا حاقدا سافرا ضد لينين واللينينية ومارس الدسائس دوما وشكل مختلف الكتل المناوئة للبلاشفة . واعلن تروتسكى ان النضال ضد اللينينية يشكل المضمون الرئيسى لنشاطه السياسى . وفى الوقت ذاته سعى تروتسكى الى ستر موقفه العدائى من لينين واللينينية بمختلف انواع المحاججات النظرية . فقد زعم ان النظرية اللينينية بشأن الثورة ، وخصوصا احكامها الخاصة بالمرحلة البرجوازية الديمقراطية من الثورة وكذلك دكتاتورية البروليتاريا والفلاحين ، تحد من سير البروليتاريا وتعيقها عن النضال فى سبيل السلطة . وفى عام ١٩١٠ وعد تروتسكى « بعراك شديد » ضد لينين وزعم ان لينين « سيتجرع الموت» فيه . وزعم تروتسكى على نحو حاقد وقح فى رسالة الى تشخييدزه عام ١٩١٣ ان كامل بنيان اللينينية مرتكز الآن على الكذب والتزوير ، وهو ينطوى على النواة السامة لتفسخه الذاتى . ان امثال هذه الحقائق العديدة تفضح ادعاءات الباحثين البرجوازيين والتروتسكيين المعاصرين من ان تروتسكى كان

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٥ ، ص ٣١٣ .

يقف عند منابع الحزب البلشفى وان خلافاته مع لينين كانت تتسم بطابع جزئى ثانوى .

ومنذ ذلك الحين ظهرت سجايا تروتسكى وملامحه السياسية المتمثلة بالسعى الى التستر على المواقف الانتهازية اليمينية بالعبارات اليسارية . وقد اشار لينين مرارا الى ان تروتسكى يتميز بالعبارات اليسارية والتحالف مع اليمينيين . وفى عام ١٩١٧ كتب لينين عن تروتسكى يقول : « انه يساوى نفسه على الدوام اى انه يراوغ ويغش ويتظاهر باليسارية ويساعد اليمينيين طالما امكن ذلك ... » * .

وفيما بعد اصبح رياء تروتسكى ومراوغته وثورويته الصارخة وممارسته الرجعية السمات الاساسية لنشاطه .

وفى فترة التحضير لثورة اكتوبر وخصوصا خلال تحقيق الثورة غيّر تروتسكى موقفه من البلشفية لدرجة كبيرة حسب الظاهر ، ولكن ذلك كان ينطوى ، كما اثبتت التجربة ، على تغير اشكال النضال ضد اللينينية . وخلال فترة من الزمن بعد العودة من المهجر حاول تروتسكى الاحتفاظ بمواقفه مؤملا ان يصبح واحدا من كبار زعماء الحركة العمالية فى روسيا . وعندما عرضت على « الاشتراكيين- الديمقراطيين الموحدين » (جماعة تروتسكى) فى ايار (مايو) ١٩١٧ المساهمة فى التحضير للمؤتمر القادم للحزب ووضع التدابير الثورية للتوحيد اجاب تروتسكى بكبرياء ان البلاشفة لم يعودوا بلاشفة وانه لا يستطيع ان ينعت نفسه بالبلشفى .

وكان تروتسكى آنذاك لا يزال يحلم بتنظيم مستقل . وبين تزايد نفوذ البلاشفة الهائل بين جماهير البروليتاريا والجنود والفلاحين الكادحين استحالة تحقيق نوايا تروتسكى الوصولية .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٩ ، ص ٣٩٠ .

فى تموز (يوليو) ١٩١٧ انتسب تروتسكى الى حزب البلاشفة تحت صغط الضرورة التاريخية وبتأثير الكثير من «الاشتراكيين - الديمقراطيين الموحدين» الذين انتقلوا باخلاص الى المواقع الثورية واعترفوا بصواب اللينينية تماما. غير ان التاريخ يبين ان تروتسكى انضم الى الحزب اللينينى ليس من اجل التعاون النزيه المخلص، بل من اجل النضال من داخل الحزب ومن اجل فرض الآراء التروتسكية عليه. وكانت تلك بداية تاكتيك «الكفاح من الداخل» الذى يطبقه التروتسكيون المعاصرون باصرار. ومنذ ذلك الحين صار تروتسكى يدافع عن آرائه متسترا عليها باقوال عامة عن اللينينية ومعلنا عن اخلاصه للينينية.

وسرعان ما اكتشف جوهر التخريب السياسى الذى مارسه تروتسكى. ففى السنوات العصيبة لقيام السلطة السوفييتية نظم تروتسكى عدة مناقشات مرهقة بالنسبة للحزب. وحاول ان يفرض على الحزب خطا يساريا متطرفا ومغامرا لحل المسائل الجذرية فى السياسة الداخلية والخارجية. واشتد كفاح تروتسكى ضد اللينينية خصوصا اثناء مرض لينين وبعد وفاته.

لقد حاول تروتسكى اثناء المناقشات ان يقلل من شأن لينين وان يصور مبادئه النظرية هو، تروتسكى، على انها المبادئ الوحيدة الصائبة. وزعم بان لينين يتميز فقط بالممارسة الثورية والغريزة الثورية، فانكر مساهمة لينين المستقلة فى تطوير الفكر الماركسى وانكر اللينينية كنظرية ثورية. ونعت تروتسكى اللينينية فى كراسه «النهج الجديد» بانها نظام للعمل الثورى يفترض وجود الحس الثورى الذى رباه التأمل والتجربة والذى يضاهى، فى الميدان الاجتماعى، الاحساس العضلى فى العمل البدنى.

واخذ تروتسكى فى الوقت ذاته يزعم بوجود نوعين من اللينينية:

نوع « قديم » ، « غير صالح » ظهر « فيما قبل الحرب » مع الفكرة الخاصة بضرورة مرحلة الثورة البرجوازية الديمقراطية وتحولها الى ثورة اشتراكية وضرورة دكتاتورية الطبقة العاملة والفلاحين باعتبارها مقدمة لاقامة دكتاتورية البروليتاريا ، ثم النوع الجديد المزعوم لللينينية الذى جاء بعد الحرب العالمية الاولى . وتكوّن هذا النوع الثانى ، برأى تروتسكى ، نتيجة للتخلى عن الاحكام الاساسية للبلشفية واعادة التسلح الفكرى على اساس التروتسكية ، وبالدرجة الاولى نتيجة لتقبل نظرية الثورة الدائمة . وكتب تروتسكى فى احدى مقالاته بصراحة ان البلشفية بقيادة لينين حققت (وليس بدون صراع داخلى) اعادة تسلحها الفكرى فى هذه المسألة الهامة جدا فى ربيع ١٩١٧ ، اى قبل استلام السلطة .

وصار انصار تروتسكى يزعمون بان ما يسمى برسائل تروتسكى الاميركية وموضوعات ابريل اللينينية ذات مضمون واحد وانها تعبر عن الفكرة التروتسكية بصدد الثورة الدائمة . واعلن هؤلاء ، مشوهين اللينينية والتاريخ والوقائع ، ان الخط الستراتيجى الذى رسمه لينين لتحول الثورة البرجوازية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية هو من حيث الجوهر عرض لنظرية الثورة الدائمة . وسعى التروتسكيون عن طريق استبدال اللينينية بالتروتسكية الى ان يصبحوا شركاء فى وضع النظرية اللينينية بشأن الثورة .

وبغية فهم جوهر آراء تروتسكى وافكار التروتسكية المعاصرة ومن اجل انتقاد هذه الآراء والافكار على نحو اكثر تعليلا من الضرورى الكشف بالخطوط العريضة عن جوهر نظرية الثورة الدائمة .

كان التروتسكيون قد اقتبسوا مصطلح « الثورة الدائمة » من ماركس وافرغوه من فكرته العبقرية وشوهوا مغزاه .

فان فكرة استمرارية الثورة التى طرحها ماركس هى من اعظم منجزات الفكر العلمى . وفى عام ١٨٥٠ كتب ماركس فى نداء اللجنة المركزية الى عصبة الشيوعيين قائلا : « فى الوقت الذى يريد فيه البرجوازيون الصغار الديمقراطيون انجاز الثورة باسرع ما يمكن مع تحقيق المطالب المذكورة اعلاه فى احسن الاحوال ، تتلخص مصالحنا ومهماتنا نحن فى جعل الثورة مستمرة الى ان تزاح من السيطرة جميع الطبقات المالكة لهذه الدرجة او تلك ، والى ان تستولى البروليتاريا على سلطة الدولة ، والى ان تتطور رابطة البروليتاريين ، ليس فى بلد واحد فقط ، بل فى جميع بلدان العالم السائدة ، لدرجة يتوقف فيها التنافس بين البروليتاريين فى هذه البلدان ، وتتركز القوى المنتجة الحاسمة على الاقل فى ايدى البروليتاريين » * .

وكان ماركس قد طرح فكرة الثورة المستمرة فى سياق النضال ضد ممثلى الديمقراطية البرجوازية الصغيرة الذين كانوا يحلمون باحراز مكتسبات ديمقراطية معينة فى مجرى النضال الثورى ويكتفون بذلك . وعلى النقيض من الديمقراطيين البرجوازيين الصغار بين ماركس الامكانية الموضوعية والضرورة التاريخية والمصلحة البروليتارية فى التنامى والتعمق المستمرين للحركة الثورية . وبرهن ماركس ان البروليتاريا ، بعد ان تحل مهمة الثورة الديمقراطية ، لا يمكن ولا يجب ان تتوقف عند مرحلة النضال هذه ، وان واجبها التاريخى ومهمتها السياسية يتلخصان فى تعميق الثورة باستمرار والاطاحة بكتلة برجوازية اثر اخرى بقدر استجماع القوى وتعزيز مواقع البروليتاريا الى ان تمسك بزمام السلطة كاملة على النطاق الوطنى . وتستخدم

---

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ٧ ، ص ٢٦١ .

البروليتاريا المنتصرة فى بلد ما مكتسباتها للعمل على تطوير الثورة على النطاق الاممى . ان افكار ماركس هذه التى اغناها لينين وطورها حسب مقتضيات المرحلة الجديدة من النضال الطبقى هى الاساس النظرى لمعالجة المسائل الجذرية فى سياسة الاحزاب الشيوعية واستراتيجيتها وتاكتيكها فى الظروف الراهنة .

ويحاول خصوم الماركسية تشويه المفهوم الماركسى للثورة المستمرة . وكان الفوضويون هم اول من ابتذل وشوه فكرة الثورة الدائمة. وقد اورد انجلس فى مقالته المعنونة « الباكونينيون منهمكون فى العمل » تصريح اعضاء الاتحاد الفوضوى الذين زعموا ، عندما رأوا اولى امارات تعاظم الميول الثورية فى اسبانيا فى عام ١٨٧٣ ، انه « لم يحدث اى شيء بعد فى برشلونة ، ولكن الثورة الدائمة قائمة فى الساحات والاماكن العامة » * . وعلق انجلس على هذا النبأ المفعم بالمبالغة والاعجاب وسخر من الفهم المبتذل للثورة الدائمة فكتب يقول ان هذه ثورة « تتلخص فى دق الطبول بلا انقطاع ولذلك بالذات تراوح فى « مكانها بصورة دائمة » »** .

ان فكرة ماركس المثمرة بشأن الثورة المستمرة قد تطورت فى مؤلفات لينين الذى اغناها بلا كلل على اساس تعميم احدث الخبرات واحدث اتجاهات النضال الثورى فى عصر الامبريالية . فقد بين لينين فى مؤلفه « خطتا الاشتراكية-الديمقراطية فى الثورة الديمقراطية » الذى وضعه عشية الثورة الروسية الاولى ان الثورة الديمقراطية فى عصر الامبريالية وفى بلد ذى حد معين ادنى لتطور الرأسمالية مثل روسيا ، تقترب من الثورة الاشتراكية ، وان الخط

* ماركس وانجلس . المؤلفات ، المجلد ١٨ ، ص ٤٦٣ .
** المصدر ذاته .

السياسى للطبقة العاملة وطليعتها السياسية ينبغى ان يتلخص فى وجود اتجاه واضح نحو تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، الى ثورة مستمرة . وكتب لينين يقول : « ... سنشرع بالانتقال من الثورة الديمقراطية على الفور ، وبما لدينا من قوة بالذات ، قوة البروليتاريا المنظمة الواعية ، سنشرع بالانتقال الى الثورة الاشتراكية . اننا ننادى بالثورة المستمرة » * .

ذلك هو المضمون الماركسى واللينينى الحقيقى لفكرة الثورة المستمرة التى تجسدت في جميع الثورات المظفرة فى اوربا وآسيا وكوبا .

اما تروتسكى والتروتسكيون فقد جردوا مصطلح « الثورة الدائمة » من مضمونه الماركسى . فان النظرية التروتسكية بصدد الثورة الدائمة تختلف اختلافا جذريا عن المفهوم الماركسى للثورة المستمرة . فمنذ ظهور الاقوال التروتسكية بصدد الثورة الدائمة شن لينين ضدها كفاحا فكريا نظريا مبدئيا . فقد اكد فى كثير من مؤلفاته ان هذه النظرية هى من حيث الجوهر شبه منشفية ، فهى تقتبس من البلاشفة النداء الى نضال البروليتاريا الثورى الحازم والى استيلائها على السلطة السياسية ، بينما تقتبس من المناشفة انكار دور الفلاحين . وفيما بعد تمادى التروتسكيون فى رجعية مضمون مبادئهم .

وتجدر الاشارة الى ان تروتسكى لم يكن اول من فسر الثورة الدائمة على نحو مبتذل . فان تروتسكى اقتبس اهم منطلقات مبادئه من بارفوس الذى عمل خلال امد طويل فى صفوف الاشتراكية الديمقراطية الالمانية ، ثم مارس نشاطه فى «الجناح اليسارى» للمناشفة الروس ، واصبح فيما بعد من المرتدين العاديين .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١١ ، ص ٢٢٢ .

وفى سنوات الثورة الروسية الاولى عندما فضح المناشفة انفسهم بتصريحاتهم القائلة بان الثورة البرجوازية الديمقراطية تخص البرجوازية وان على البروليتاريا ان تقف بعيدا عنها اراد بارفوس ان يخفف بشكل ما من الانطباع السيىء عن الافكار المنشفية الداعية الى ان تحد البروليتاريا من نضالها بنفسها . فحاول ان يجد كلمات ثورية يمكن ان يوجه الحركة العمالية بواسطتها فى مجرى المنشفية . فان بارفوس بالذات هو الذى طرح شعار « حكومة عمالية بدون قيصر». وهو الشعار الذى انعكست فيه فى الوقت ذاته محاولة لمراعاة الميول الثورية للعمال ، ولو بشكل عبارات يسارية ديماغوغية ، وعدم الثقة بزعامة الطبقة العاملة وحلفائها ، والامل الخفى باستفادة المناشفة من التفسير المشوه للحكم اللينينى بشأن تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، وتهريب وامرار المبدأ المغامر للقفز عبر مرحلة الانقلاب الديمقراطى .

وقد تسلح تروتسكى باقوال بارفوس واضاف اليها اقواله الرنانة الجوفاء واعلن ان هذا الخليط المؤلف من العبارات الثورية والاستسلام المنشفى هو نظرية « الثورة الدائمة » .

تتميز نظرية الثورة الدائمة التروتسكية بالسمات التالية المنافية للعلم واللينينية :

— انكار السنن الموضوعية لاختمار واعداد الثورة ومراحل تطورها ، وانكار ضرورة الثورة الديمقراطية ، واصدار النداءات الذاتية الداعية الى القيام بالانقلاب الاشتراكى فورا ومهما كانت الظروف ، الامر الذى يعنى تجاوزا مغامرا لمراحل النضال الحتمية تاريخيا ؛

— انكار زعامة الطبقة العاملة ، وانكار الامكانيات الثورية

لدى الفلاحين الكادحين ، والقول بمبدأ الانفراد الثورى للبروليتاريا التى لابد وان تصطدم ، برأى التروتسكيين ، مع الفلاحين المحافظين بطبيعتهم ومع جميع فئات الشغيلة غير البروليتارية ، مما يجعل فكرة تحالف الطبقة العاملة والفلاحين امرا غير واقعى ؛

ــ عدم الثقة بالامكانيات الثورية للبروليتاريا المظفرة ، وانكار امكانية بناء الاشتراكية فى بلد واحد على حدة ، الامر الذى يعنى انعدام مستقبل الثورة تاريخيا وعدم جدواها فى الاطر الوطنية ، والحكم عليها بالهزيمة اما نتيجة للاصطدام مع القوى الرجعية العالمية واما تحت ضربات القوى المحافظة الداخلية ؛

ــ النهج المغامر نحو تصدير الثورة والنداءات الى شن الحروب الثورية والثورة العالمية من قبل بروليتاريا البلد المنتصر ، باعتبار ذلك هو الرسالة التاريخية الوحيدة للبروليتاريا المذكورة ؛

ــ المبدأ القائل بحتمية انتكاس السلطة البروليتارية الثورية المنتصرة فى بلد واحد اذا لم تصل اليها فى الوقت اللازم المساعدة الحكومية من الطبقة العاملة فى البلدان الاخرى ، واذا لم تقم الثورة العالمية فى الوقت المناسب ؛

ــ النزعة الثوروية الارادية التى تنكر دور واهمية الجماهير فى النضال الثورى وضرورة اعداد القوى المحركة للثورة للمعارك الطبقية الحاسمة ، والمبالغة فى تقدير دور بعض الفصائل والجماعات والشخصيات الثورية فى تحقيق الانقلاب الثورى ؛

ــ انكار غنى وتنوع اشكال وطرق النضال الثورى ، واضفاء طابع مطلق على شكل واحد لا غير ، هو الكفاح المسلح الذى يمكن ان تبدأه ، برأى التروتسكيين ، فصائل غير كبيرة من المحاربين بغية هز جماهير العمال ودفعهم الى الاعمال الثورية بصورة مصطنعة ؛

– الخضوع لعفوية الحركة العمالية ، بل وحتى تجاهل واستصغار الدور التنظيمى للطليعة الثورية والاستهانة بنشاط الحزب الشيوعى .

تلك هى اهم الاحكام الاساسية لنظرية الثورة الدائمة التروتسكية ، التى تحكم على الطبقة العاملة لاى بلد فى الواقع بالانتظار السلبى لحريق ثورى عالمى تجريدى لا يمكن ان يندلع لهيبه فى العالم كله فى وقت واحد كما تبين النظرية والتطبيق .

ومن الواضح تماما ان هذه الاحكام جميعا تتسم بطابع رجعى ، وهى منافية للينينية من الفها الى يائها .

ان ثورة تروتسكى الدائمة تتعارض والتعاليم الماركسية-اللينينية بشأن الثورة الاشتراكية فى جميع المسائل الجذرية : فى تقييم طرق ومراحل تطور الثورة فى عصر الامبريالية وقواها المحركة ، وفى تقييم سياسة الطبقة العاملة وستراتيجيتها وتاكتيكها فى مختلف مراحل الثورة ، وفى انكار تنوع اشكال تحقيق المهمات الثورية وافاق الحركة الثورية فى البلد المعنى ، وفى تفسير الترابط بين الثورات الوطنية والثورة العالمية ، وفى تحديد امكانيات بناء الاشتراكية وهلمجرا .

وعلى اساس التحليل العميق للعمليات الاجتماعية التى يولدها انتقال الرأسمالية الى طور الامبريالية عمق لينين الاحكام الماركسية بصدد سنن اختمار الثورة ، والمقدمات الموضوعية والذاتية للانقلاب الثورى ، وتقارب النضال فى سبيل الديمقراطية مع النضال فى سبيل الاشتراكية . وقدم لينين وصفا رائعا لافاق الثورة المختمرة فى روسيا ، ففضح المناشفة الذين زعموا بان البرجوازية يتعين عليها ان تقود الثورة فى روسيا ، ما دامت روسيا تنتظر ثورة برجوازية ،

وبان روسيا بعد انتصار الثورة ستتطور امدا طويلا في اطار العلاقات الرأسمالية . وبين لينين ان روسيا التي تتميز بمستوى متوسط لتطور الرأسمالية قد نضجت للتحويلات الثورية العميقة ولتحول الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية بسرعة كبيرة لهذه الدرجة او تلك . بديهي ان الثورة المرتقبة آنذاك في روسيا كان يجب ان تكون برجوازية بحكم المخلفات الاقطاعية الكبيرة . الا انه كان من شأنها ان تكون ، كما تكهن لينين علميا ، ثورة برجوازية غير معتادة . وكان تفرد المرحلة الاولى من الثورة المرتقبة في روسيا يتلخص ، برأي لينين ، في انها ستكون ثورة ديمقراطية شعبية عظمى ، وان البروليتاريا المتحالفة مع الفلاحين ستكون قائدة الثورة وقوتها المحركة . فالطبقة العاملة التي تتزعم جميع الشغيلة وتنجز الثورة البرجوازية الديمقراطية لا تتوقف عند المرحلة الديمقراطية من النضال ، بل تحقق الانتقال الى المرحلة التالية – الاشتراكية – بقدر تعاظم القوى الثورية .

اما تروتسكي فلم ينكر المهمات البرجوازية الديمقراطية التي كانت تواجه بروليتاريي روسيا في بداية النضال . ولكنه كان ينكر ضرورة مرحلة الثورة البرجوازية الديمقراطية . فقد كان يرى امكان وضرورة القفز عبر مرحلة الانقلاب الديمقراطي والانتقال الى الثورة الاشتراكية مباشرة . وزعم تروتسكي ان البروليتاريا مستعدة للثورة دوما : ولا يحتاج الامر الا الى الهامها ودفعها واستنهاضها ، وعند ذاك تستطيع ان تقيم سلطتها فورا ، لوحدها ، وبدون حلفاء في النضال ضد الاقطاعيين والقيصرية والبرجوازية مع تذليل مقاومة جميع الفلاحين في الوقت نفسه . وكان الشعار السيىء الصيت « حكومة عمالية بدون قيصر » يعني انكار دور الفلاحين في الثورة ، ويعني نداء مغامرا

لحل المهام الديمقراطية واقامة السلطة البروليتارية فورا وفى وقت واحد .

وهكذا ، يتلخص اختلاف نظرية الثورة الدائمة التروتسكية الجذرى عن النظرية اللينينية بصدد تحول الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية فى تجاهل القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى ومراحل الثورة ، وفى الدعوات المغامرة الى القفز عبر المراحل ، وفى انكار امكانية تحالف الطبقة العاملة والفلاحين والزعامة الثورية للبروليتاريا .

وينكر التروتسكيون عموما ضرورة مراحل التطور فى اية ثورة ، ولا يعترفون بالاهمية الحيوية للجمع بين النضال فى سبيل الديمقراطية وبين النضال فى سبيل الاشتراكية . ويرى التروتسكيون ان الثورة يجب ان تتطور وتتحقق فى جميع الظروف كثورة اشتراكية . وحتى بالنسبة للبلدان المتخلفة ، حيث تسود العلاقات الاقطاعية وشبه الاقطاعية وحيث الطبقة العاملة فى طور النشوء فقط وحيث تعتبر المهمات الديمقراطية هى مهمات الساعة ، يدافع تروتسكى فى كتابه « الثورة الدائمة » الصادر فى عام ١٩٣٠ عن مبدأ النضال المباشر فى سبيل دكتاتورية البروليتاريا .

ولقد طرح لينين وعلل فكرة زعامة الطبقة العاملة فى الثورة الديمقراطية وفكرة تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين تحت قيادة الاولى . وبين ان جميع الطبقات المستغَلة ، وبالدرجة الاولى الفلاحين ، لديها قدرة ثورية كامنة هائلة وهى حليفة طبيعية للطبقة العاملة فى النضال ضد النظام الاستبدادى الاقطاعى وفى سبيل التحويلات الديمقراطية . وان الدكتاتورية الثورية الديمقراطية للبروليتاريا والفلاحين هى التعبير السياسى عن النضال الثورى للطبقة العاملة والفلاحين ضد مخلفات الاقطاعية وسلطة القنانة ، وهى ما

يثبت هذا النضال . علما بان لينين اكد ان دكتاتورية البروليتاريا والفلاحين التي تقوم بنتيجة انتصار الثورة الديمقراطية ستكون من حيث مضمونها التاريخي ليس تنظيما لحفظ النظام ، بل تنظيما للحرب الثورية .

وطبقا للمفهوم اللينيني لاستمرارية الثورة ينبغي للثورة البرجوازية الديمقراطية والثورة الاشتراكية ان تشكلا حلقتين ومرحلتين لعملية ثورية واحدة ، ولا يجوز حصر الثورة الروسية خلال عصر الامبريالية في الاطر البرجوازية .

ان الفكرة اللينينية بصدد تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية كانت الاساس النظرى لوضع الخط السياسى والستراتيجية والتاكتيك من قبل الحزب البلشفي في مرحلة اعداد وتحقيق المعارك الثورية العظمى في روسيا . وكان انتصار ثورة اكتوبر تأكيدا عمليا رائعا لصواب النظرية اللينينية بصدد الثورة ، ولصواب فكرة تحول الثورة البرجوازية الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، وقد كشف هذا الانتصار عن اعمق مغزى طبقي للمفهوم الماركسي-اللينيني لاستمرارية الثورة : تأمين زعامة الطبقة العاملة في الثورة الديمقراطية ، وتشكيل تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين واقامة دكتاتورية العمال والفلاحين في المرحلة الاولى ، وتأمين تحول الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية وتكلل النضال الثورى باقامة دكتاتورية البروليتاريا ، والتحالف الاممي بين البروليتاريا الروسية المظفرة وبين البروليتاريا الاوربية بغية تطوير الثورة في الغرب .

وقد اكد لينين في كتابه « الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي » قائلا : « جرت الامور على النحو الذى تكلمنا عنه بالذات. واكد سير الثورة صواب محاججاتنا . في بادئ الامر مع « جميع » الفلاحين ضد

الملكية ، ضد الاقطاعيين ، ضد القرون الوسطى (ولذلك تظل الثورة برجوازية ، اى برجوازية ديمقراطية) . ثم مع افقر الفلاحين وشبه البروليتاريين ، مع جميع المستغلين ، ضد الرأسمالية ، بمن فيها اغنياء الريف والكولاك والمضاربون (ولذلك تصبح الثورة اشتراكية) . ان السعي الى وضع سور صيني مصطنع بين هذه وتلك ، وفصل احداهما عن الاخرى بفاصل آخر ما ، سوى درجة اعداد البروليتاريا ودرجة اتحادها مع فقراء الريف ، انما هو اعظم تشويه للماركسية ، وابتذال لها ، واستبدالها بالليبرالية » * .

لقد انكر تروتسكي الامكانيات الثورية للفلاحين الذين اعتبرهم قوة محافظة ، بل ورجعية فى بعض الاحوال . وكان يرى ان السلطة الثورية التى تقام بنتيجة الثورة البرجوازية الديمقراطية المظفرة ستصطدم ليس مع البرجوازية فحسب ، بل ومع الفلاحين ، ولذلك فان سياسة التحالف مع الفلاحين محكوم عليها بالفشل ، حسب زعمه . ويستنتج من نظرية الثورة الدائمة ان طبقة الفلاحين عدو محتمل. وحسب تصورات التروتسكيين ستجد البروليتاريا المظفرة نفسها وحيدة وستسحقها الرجعية البرجوازية الفلاحية . ويعنى ذلك ، من جهة ان البروليتاريا ، حسب نظرية تروتسكي ، لا يمكن ان تأمل بتأييد او عطف حيادى من قبل الجماهير الكادحة ، وان البروليتاريا مضطرة لوحدها الى استلام السلطة . ومن ناحية ثانية يعنى ذلك ان اية سلطة بروليتارية فى روسيا هى ظاهرة سابقة لاوانها ، وليست لها اية افاق اشتراكية ، وهى محكوم عليها بالهزيمة الحتمية ، الا اذا حصلت على دعم خارجي. وان الرسالة الوحيدة لنضال البروليتاريا هى تصدير الثورة الى البلدان الاخرى و« التعجيل » بالثورة العالمية .

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٧ ، ص ٣١١ — ٣١٢ .

وعلى اساس تحليل سنن الرأسمالية فى عصر الامبريالية ، وخصوصا قانون تفاوت التطور الاقتصادى والسياسى للبلدان الرأسمالية ، علل لينين امكانية اختراق سلسلة الامبريالية فى بلد على حدة ، وامكانية تحقيق الثورة الاشتراكية المظفرة واقامة دكتاتورية الطبقة العاملة فى روسيا .

اما نظرية الثورة الدائمة فهى تنكر امكانية انتصار الثورة فى الاطر الوطنية لاى بلد ، وخصوصا لبلد كروسيا . ويزعم تروتسكى ان الطبقة العاملة فى بلد واحد يمكن ان تشرع بالثورة وتحرز انتصارات اولى ، ويمكن ان ترسخ سلطتها عن طريق الصدفة ، ولكن الانتصار الحاسم غير ممكن الا فى حالة ما اذا كانت الثورة مستمرة دائمة على النطاق العالمى ، وما اذا كانت الثورة فى بلد واحد تدشن عصر الثورة العالمية « الدائمة » ، وما اذا كانت ستصبح شرارة للحريق الثورى العالمى . وكتب تروتسكى بصراحة : « لا يمكن للثورة الروسية ان تنتصر وتحرر الشعب الروسى الا اذا تحولت الى بداية للثورة فى جميع البلدان . فاذا ظلت قائمة فى المانيا مملكة الرأسمال واذا ظلت سائدة فى نيويورك سيطرة البورصة ، واذا كانت ستسيطر على انجلترا امبريالية بريطانيا العظمى فاننا لن ننجو بجلدنا ، وذلك لانهم اقوى منا ، وانهم اغنى منا ، وانهم اكثر ثقافة منا حتى الآن ، وان آلاتهم الحربية اقوى من آلاتنا ، وسيخنقوننا . فاين المخرج ؟ انه اطالة الامد والصمود حتى تبدأ الثورة فى جميع البلدان الاوربية » .

لقد اعتبر تروتسكى انكار امكانية انتصار الثورة الاشتراكية فى بلد واحد قانونا تاريخيا . فقد زعم فى كتابه « الثورة الدائمة » ان «انجاز الثورة الاشتراكية فى الاطر الوطنية امر مستحيل ... فالثورة الاشتراكية ستبدأ على الصعيد الوطني وتتطور على الصعيد الامىي

وتنجز على الصعيد العالمي ... وهكذا ... لا تبلغ الثورة الاشتراكية خاتمتها قبل الانتصار النهائي للمجتمع الجديد في كوكبنا بأسره » .

ان الحكم القائل بامكان بناء الاشتراكية في بلد واحد يشكل اهم جزء في النظرية اللينينية بصدد الثورة الاشتراكية . وقد بين لينين ان البروليتاريا قادرة ليس فقط على القيام بالثورة في بلد واحد ، بل وعلى بناء الاشتراكية فيه . ففي عام ١٩١٥ انتقد لينين الشعار التروتسكي بصدد «الولايات المتحدة الاوربية » التي اعتبرها التروتسكيون شرطا تمهيديا لانتصار الثورة البروليتارية ، فاشار ، فيما اشار ، الى ان هذا الشعار يمكن ان يولد تفسيرا غير صائب يقول باستحالة انتصار الاشتراكية في بلد واحد . واكد لينين : « ان تفاوت التطور الاقتصادي والسياسي هو قانون الرأسمالية المطلق . ويستنتج من ذلك امكان انتصار الاشتراكية بادئ ذي بدء في عدد قليل من البلدان الرأسمالية او حتى في بلد واحد على انفراد » * .

وكتب لينين بمزيد من التحديد عام ١٩١٦ في مقالته « البرنامج العسكري للثورة البروليتارية » : « ... ان الاشتراكية لا يمكن ان تنتصر في جميع البلدان في وقت واحد . فهي ستنتصر بادئ ذي بدء في بلد واحد او بضعة بلدان ، بينما تظل البلدان الاخرى لبعض الوقت برجوازية او ما قبل برجوازية » ** . علما بان لينين اكد خصوصا على ان لدى روسيا كل الامكانيات لبناء المجتمع الاشتراكي الكامل .

ان احكام لينين هذه موجهة كليا ضد النظرية التروتسكية بشأن الثورة الدائمة وضد عدم ثقة التروتسكية في امكان بناء الاشتراكية في بلد واحد .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٦ ، ص ٣٥٤ .
** لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ١٣٣ .

لقد كتب تروتسكي يقول : « نحن نعلق آمالا وطيدة على التطور الثورى فى اوربا . وما السياسة الاقتصادية الجديدة الا تكيف لوتيرة هذا التطور ... واذا كان العالم الرأسمالى سيعيش بضعة عقود اخرى فسيعنى ذلك توقيع حكم الموت على روسيا الاشتراكية : فسوف تضطر اما الى المرور بمرحلة الديمقراطية البرجوازية واما التعفن « باشكال اخرى » ».

وبعد انتصار ثورة اكتوبر رسم لينين الطرق والاشكال والاساليب الملموسة لبناء الاشتراكية فى روسيا .

اما تروتسكي وانصاره فكانوا يعتقدون بانه لا داعى للشروع بالبناء الاقتصادى السلمى ما دام بناء الاشتراكية فى روسيا مستحيلا. واقترحوا على نحو مغامر توجيه كامل حماس الشعب السوفييتى نحو اشعال لهيب الثورة العالمية ، نحو تصدير الثورة .

لقد كانت اهم مساهمة للينين فى نظرية الثورة الاشتراكية هى تعليله للترابط بين الثورات الاشتراكية فى الاطر الوطنية وبين الثورة العالمية ، وتحديده العلمى للواجبات الاممية الملقاة على عاتق البروليتاريا الظافرة . وكان لينين يتوقع تطور الثورات البروليتارية فى الغرب ، فاشار الى انه اذا امكن الاطاحة بالنظام الرجعى فى روسيا فسوف تتهيأ الامكانية لانتقال لهيب الثورة الى اوربا . وكتب يقول : « ... عند ذاك سيشعل لهيب الثورة اوربا ، وسيهب العامل الاوربى الذى ارهقته الرجعية البرجوازية وسيرينا بدوره « كيف يتعين فعل ذلك » ، وعند ذاك سيؤثر النهوض الثورى لاوربا تأثيرا عكسيا على روسيا فيخلق من العصر الثورى الذى يدوم بضع سنوات عصرا ثوريا يدوم بضعة عقود ... » *. وكان لينين يرى من الضرورى ان

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ١٠ ، ص ١٤ .

تؤدى الثورة فى روسيا الى الانتصار التام على الاقطاعيين والبرجوازية وان تساعد على تطور الثورة فى اوربا .

ولم يستبعد لينين امكانية تقديم البروليتاريا المنتصرة فى بلد واحد المساعدة فى ظروف معينة الى الطبقة العاملة فى بلدان اخرى فى نضالها الثورى . الا ان لينين كان يعنى بالذات المساعدة الى البروليتاريا المناضلة الثائرة ، وكان يعارض بحزم اية محاولات لتصدير الثورة واية دعوات مغامرة لشن الحروب الثورية واشعال لهيب الثورة بصورة مصطنعة فى البلدان الاخرى عندما لا تكون الظروف قد نضجت لذلك .

واكد لينين ان الثورة الاشتراكية المظفرة غير ممكنة الا اذا نضجت الظروف الملائمة لها فى احشاء البلد المعنى ، والا اذا قامت فى البلد ازمة سياسية فلم تعد الطبقات المسيطرة قادرة على الحكم بالطريقة القديمة ولم تعد الطبقة العاملة وجميع الشغيلة راغبين فى العيش بالطرق القديمة ، والا اذا كانت الطبقة العاملة مستعدة تنظيميا وفكريا وسياسيا للمعركة الثورية ، وعازمة كل العزم على تحقيق الانقلاب الثورى . وقد وصف لينين توفر هذه الشروط بالذات بانه القانون الاساسى لكل ثورة .

ان اية محاولة لتصدير الثورة ودفعها والتدخل فى الشؤون الداخلية للبلدان الاخرى من شأنها ان تعيق تطور الثورة لا اكثر . وكتب لينين يقول : « ان مثل هذه « النظرية » من شأنها ان تتعارض كليا مع الماركسية التى انكرت دوما « دفع » الثورات النامية بقدر اختمار حدة التناقضات الطبقية التى تولد الثورات » * .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٥ ، ص ٤٠٣ .

وقدم لينين التعليل الصائب الوحيد للتأثير الذى يمكن ان تمارسه بروليتاريا روسيا الظافرة على التطور اللاحق للثورة البروليتارية العالمية . وكان لينين يرى ان هزيمة الثورات فى الغرب ظاهرة مؤقتة ، ويؤمن بالنهوض الثورى الجديد ، مع انه كان يعترف باحتمال مرور سنوات طويلة فى انتظار هذا النهوض الجديد .

واشار لينين الى ان الطبقة العاملة فى روسيا حظيت فى المرحلة الاولى بالذات بدعم كبير من البروليتاريا العالمية بشكل حركة جبارة للدفاع عن روسيا ومعارك طبقية ضارية فى الغرب ادت الى اضعاف ضغط الامبرياليين على روسيا .

وفى الظروف التاريخية الجديدة طرح لينين على الطبقة العاملة المنتصرة فى روسيا اكبر مهمة ثورية اممية هى صيانة وتعزيز جمهورية السوفييتات باعتبارها المعقل السياسى المعنوى والمادى للثورة البروليتارية العالمية . واثبت لينين ان مواصلة تطوير هذه الثورة تتطلب ممارسة البناء الاقتصادى الاشتراكى على نطاق واسع . فان نجاحات الشعب السوفييتي فى النضال من اجل الاشتراكية من شأنها ان تكون ، برأى لينين ، المساهمة الرئيسية الحاسمة للطبقة العاملة لروسيا السوفييتية فى الثورة العالمية . وعلمنا لينين قائلا : « اننا الآن نمارس تأثيرنا الرئيسى على الثورة العالمية بسياستنا الاقتصادية ... وعلى هذا الصعيد نقل النضال الى النطاق العالمى . وعندما سنوفق فى حل هذه المهمة سنفوز على الصعيد العالمى بالتأكيد وبصورة نهائية » * .

تلك هى الصورة اللينينية الحقيقية لطرح مسألة التناسب بين المهمات الوطنية والاممية للطبقة العاملة فى روسيا السوفييتية .

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٤٣ ، ص ٣٤١ .

وتبين المقارنات التى اوردناها هنا ان نظرية الثورة الدائمة التروتسكية على طرفى نقيض ، فى كل المواقف الجذرية ، مع نظرية الثورة الاشتراكية اللينينية ، وهى ضد لهذه النظرية ونفى لها .

ان نظرية « الثورة الدائمة » التروتسكية راديكالية للغاية بالاقوال، ولكنها فى الواقع تتميز داخليا بعدم الثقة بالامكانيات الثورية للطبقة العاملة وعدم الثقة بانتصار الاشتراكية وعدم الثقة بالمستقبل الوضاء للشعب . وتجمع هذه النظرية بين الثوروية الصارخة والتشاؤم العميق ، والدعوات للثورة العالمية والنزعة الاستسلامية المنشفية ، والعبارات اليسارية والتاكتيك اليمينى . وهى تجرد الجماهير من سلاحها نظريا وعمليا ، وتحكم على الطبقة العاملة بالهزيمة مسبقا .

٣ ـ التروتسكيون فى نضالهم « الدائم » ضد الثورة

يسترشد التروتسكيون المعاصرون بآراء تروتسكى فى جميع منطلقاتهم الاساسية ، ويواصلون ويعمقون نشاطه التخريبى الرجعى فى الحركة الثورية ويلتزمون بمواقع المعاداة الشرسة للشيوعية .

لقد وضعنا بالاشتراك مع باحثين آخرين تعريفا عاما للتروتسكية المعاصرة ومنطلقاتها النظرية ودورها السياسى . واليكم هذا التعريف :

ان التروتسكية المعاصرة هى النزعة الثوروية اليسارية المتطرفة للبرجوازية الصغيرة والتى تنقلب فى آخر المطاف الى نزعة استسلامية يمينية . وهى سياسة وايديولوجية متطفلتان على الميول الثورية المناوئة للرأسمالية والمتعاظمة لدى فئات الشغيلة غير البروليتارية وخصوصا الطلبة ومثقفى المدن . وهى استبدال للاممية البروليتارية بالنزعة الكوزموبوليتانية وانكار امكانية الثورات الاشتراكية المظفرة فى

الاطر الوطنية انطلاقا من هذه المواقف ، وهى التشاؤم وعدم الثقة بانتصار الثورة والاشتراكية والتستر بدعوات صارخة الى الثورة العالمية ، وهى معاداة شرسة لللينينية ومحاولة لتجريد تعاليم لينين من محتواها واستبدالها بآراء تروتسكى ، وهى عداء حاقد على الشيوعية ومتاجرة بافكار الشيوعية * .

ولدى كل الجماعات التروتسكية المعاصرة اسس منهجية مشتركة يتلخص جوهرها فى استبدال الديالكتيك الماركسى-اللينينى بالسفسطة الذاتية والميتافيزيقا السطحية .

فالتروتسكيون المعاصرون ينكرون القوانين الموضوعية للتطور الاجتماعى ويستبدلونها بالتفسيرات المثالية الذاتية لسير التاريخ ويبالغون فى دور العامل الذاتى ، بل ويضفون عليه طابعا مطلقا .

ولدى دراسة وتفسير كل الظواهر الاجتماعية يرفض التروتسكيون المنهج الماركسى-اللينينى : التحليل الديالكتيكى لجميع جوانب الواقع الموضوعى فى ترابطها وحركتها بغية ابراز الاتجاهات والافاق الطليعية التقدمية تاريخيا لتطورها . وهم يستبدلون هذا المنهج بالتعارض الميكانيكى بين جوانب منفصلة . وهم يشطرون ديالكتيك العام والخاص والفردى ، والاممى والوطنى . فهم ، من جهة ، ينكرون تنوع وخاصية العمليات التاريخية الملموسة ومراحل تطورها ، ويحصرون كل شىء فى المخططات والاستنتاجات الميتافيزيقية المجردة . ومن جهة اخرى ، يتشبثون ، عن طريق السفسطة ، بوقائع معينة فيضفون عليها طابعا عاما مطلقا على نحو مثالى ذاتى .

وعلى هذا الاساس الخاطئ منهجيا يستخلصون استنتاجات نظرية ويضعون مبادئ سياسية ويصوغون شعارات ستراتيجية شاملة

* راجع « الطبقة العاملة والعالم الحديث » ، ١٩٧٢ ، العدد ١ .

لجميع البلدان والشعوب ويرسمون اشكال النضال وتاكتيك الاعمال المغامرة من حيث الجوهر .

وترفض كل الجماعات التروتسكية نظرية الثورة الاشتراكية اللينينية . وخلافا للخبرة الثورية العالمية المتراكمة تتخذ هذه الجماعات من نظرية « الثورة الدائمة » التروتسكية اساسا لمبادئها السياسية وستراتيجيتها وتاكتيكها وكامل نشاطها العملي .

وفي بعض الاحيان يتحدث التروتسكيون المعاصرون ، لاهداف ديماغوغية ، عن ضرورة تجديد نظرية « الثورة الدائمة » . فقد جاء في مقالة لهيئة تحرير مجلة « الاممية الرابعة » « ان نظرية « الثورة الدائمة » قد صاغها ليف تروتسكي ابان الثورة الروسية الاولى قبل ٦٠ عاما . وهي غير كافية لفهم مجمل الظواهر التي لا تقارن بتلك التي تجري في القارات الاخرى ، المستعمرة مثل افريقيا ، ولكن على مستوى آخر تماما لتطور المجتمعات والقوى المنتجة » * .

وفي محاولة لتكييف نظرية « الثورة الدائمة » الى الظروف الحديثة اخذ التروتسكيون يغازلون حركة التحرر الوطني بغية التغلغل الى صفوفها واستخدام النطاق الواسع لنضال الشعوب التحرري في افريقيا وآسيا واميركا اللاتينية من اجل تعزيز مواقعهم السياسية وتوسيعها .

وفي السنوات الاخيرة دفن التروتسكيون المعاصرون بلا ضجيج تقييم تروتسكي للفلاحين باعتبارهم قوة رجعية . واصبحوا مستعدين للاعتراف بامكانيات الفلاحين الثورية ، وخصوصا في المستعمرات وشبه المستعمرات السابقة . وبلغ الامر ببعض التروتسكيين حد الاعتماد على الفلاحين في النشاط السياسي والبحث عما يشبه السند

* "Quatrième Internationale", Paris, 24—e année, N.27 février 1966, p.3—4.

والمرتكز فى الاوساط الفلاحية . وتتحدث عدة وثائق تروتسكية عن امكانية وضرورة ايجاد التحالفات بين الطبقة العاملة وبين الفلاحين وفئات الشغيلة الاخرى وهلمجرا .

وتستهدف محاولات ترقيع نظرية الثورة الدائمة التروتسكية المقترنة بالعبارات الثوروية الصارخة العثور على حجج ايديولوجية لتوسيع القاعدة الاجتماعية للحركة التروتسكية حتى بثمن التخلى الظاهرى عن بعض الاحكام السابقة . الا ان السمات الرجعية الاستسلامية الجذرية لنظرية الثورة « الدائمة » التروتسكية ظلت ثابتة ، بل واكتسبت اتجاها متماديا فى عدائها للثورة وللشيوعية وللاتحاد السوفييتى .

واستكمل التروتسكيون المعاصرون الحكم القائل باستحالة انتصار الثورة الاشتراكية فى بلد واحد بزعم يقول ان هذه الثورة لا يمكن حاليا ان تتحقق كذلك فى مجموعة من البلدان الرأسمالية ، وانها لا يمكن ان تنجح وتنتصر الا فى حالة ما اذا تطورت بلا انقطاع كثورة عالمية صرف تجتاح جميع البلدان فى وقت واحد . ويزعمون كذلك ان الثورة الاشتراكية فى بلد واحد لابد وان تصبح « دائمة » وتتحول الى ثورة عالمية . وبالنسبة لاوربا يقدم التروتسكيون آراء تروتسكى معدلة بشكل « الولايات المتحدة الاشتراكية الاوربية » . علما بانهم يعلنون برياء ان الدعاية لهذا الشعار لا تعنى ان الطبقة العاملة لا تستطيع الشروع بالاطاحة بالسيطرة الرأسمالية فى بلد واحد بادئ ذى بدء . ويقول احد ممثلى الاممية الرابعة : على العكس ، اننا ندعو المحاربين الطليعيين إلى الاستعداد وتربية الجماهير بروح الفكرة القائلة بانها يجب ان تنتهز كل فرصة مؤاتية ، كالتى تهيأت فى فرنسا فى ايار (مايو) عام ١٩٦٨ ، لتحقيق الثورة الاشتراكية

المظفرة فى بلادها . وكما هو شأن منطق التروتسكيين الجزويتى المرائى ، وردت بعد ذلك تحفظات تلغى هذا الزعم وتستبدله « بنظرية الثورة الدائمة » .

وتبين هذه التحفظات ما يلى :

اولا — ان هذا الانتصار سيتحول بسرعة الى اختبار القوى فى الصراع بين الرأسمال والعمل فى عدد من البلدان الاوربية .

ثانيا — من الامور الخالية من الشعور بالمسؤولية قطع العهود والوعود للعمال والطلبة فى اوربا بانه سيتسنى لهم بناء مجتمعهم الاشتراكى بدون تدخل من الامبريالية الاميركية او البيروقراطية السوفييتية .

ثالثا — من الامور الخالية من الشعور بالمسؤولية لدرجة اكبر تأييد سياسة « عدم التدخل » ازاء البلدان الاخرى بغية شراء « السلام » على حساب المستغلين والمظلومين فى العالم بأسره . — على هذا النحو المموه يعرض التروتسكيون فكرة تصدير الثورة الى البلدان الاخرى . واخيرا يأتى تصريح تروتسكىٌ صرف يستنتج منه ان البروليتاريا ، حتى فى اطار اوربا ، عاجزة عن تحقيق الثورة الاشتراكية المظفرة . والبديل عن اوربا الاشتراكية ، كما يزعم التروتسكيون ، سيكون ليس التطور والتعايش السلمى ، بل انتصار الرجعية ، وسيكون من المستحيل بناء الولايات المتحدة الاشتراكية الاوربية بدون ان يشمل العالمَ بأسره النضال فى سبيل نفس الاهداف التى ستبدأ جماهير الشغيلة تحقيقها فى القارة الاوربية .

وهكذا يدعو التروتسكيون بالاقوال « الحازمة » الى الثورة فى بلد واحد ، ولكنهم يؤكدون كالسابق بان هذه الثورة يجب ان

تتحول « بصورة دائمة » الى ثورة عالمية والا فسوف تمنى بالهزيمة المحققة .

وخلافا للينينية ولخبرة الاشتراكية القائمة فعلا يزعم التروتسكيون المعاصرون بانه لا يمكن بناء الاشتراكية فى بلد واحد ، بل ولا فى مجموعة من البلدان حتى لو بلغت مستوى عاليا للتطور الاقتصادى والسياسى . فالاشتراكية ، على حد زعم التروتسكيين ، لا يمكن بناؤها وانجاز بنائها الا على النطاق العالمى .

وخلافا للينينية وللتطبيق الثورى الفعلى الذى تمارسه الشعوب ينكر التروتسكيون المعاصرون ضرورة مرحلة الثورة التحررية الديمقراطية المناوئة للامبريالية والاقطاعية ويدعون على نحو استفزازى شعوب البلدان النامية الى اجراء التحويلات الاشتراكية فورا ، مما يتطلب فى البداية نقل الثورة الى الصعيد العالمى ، الى البلدان الرأسمالية الكبرى !

ويتمادى التروتسكيون المعاصرون فى تشديد الجوهر الرجعى المغامر لنظرية الثورة الدائمة زاعمين بان المرتكز الاساسى لشن الثورة العالمية هو تصديرها من قبل القوات المسلحة فى الاتحاد السوفييتى و « الدول العمالية » الاخرى ، على حد تعبيرهم ، الى منطقة نفوذ الرأسمالية حتى ولو كلف ذلك اشعال نيران الحرب الذرية . علما بان التروتسكيين لا يرون ضرورة للنشاط السلمى البناء الذى تمارسه شغيلة البلدان الاشتراكية ، ويعتقدون ان هذا النشاط لا مستقبل له من الناحية الاجتماعية . واذ ينكر التروتسكيون الاحكام اللينينية بصدد تنوع اشكال الثورة ، تلك الاحكام التى اكدتها خبرة جميع الثورات وجميع المعارك الطبقية ، لا يعترفون بالثورية الا لاعمال الجماعات المسلحة ، حيث يضفون طابع الاطلاق على شكل النضال

المسلح فقط الذى يعتبرونه وحده شكلا فعالا ويمجدونه فى كل مكان بصرف النظر عن الظروف التاريخية والضرورة الموضوعية ودرجة استعداد الجماهير وتصميمها .

وينكر التروتسكيون المعاصرون الدور الثورى التحويلى للاتحاد السوفييتى والبلدان الشقيقة الاخرى فى العملية الثورية العالمية ، ويتمسكون بموقف العداء الشرس للسوفييت ويفترون على الاتحاد السوفييتى والحزب الشيوعى السوفييتى وسياسته الداخلية والخارجية ويتهمونه بالتواطؤ مع الامبرياليين وبنسيان مصالح الثورة .

ويوجه التروتسكيون اتهامات افترائية الى الاحزاب الشيوعية بالانتكاس والتحريفية والاصلاحية الجديدة ويدعون الى تحطيم الفصيلة الثورية العالمية الطليعية . وهم يعلنون زاعمين ان الشيوعيين يعيقون الثورة فى البلدان الرأسمالية ويخشون الدخول فى معركة . ويهدف التروتسكيون الى ازاحة الاحزاب الشيوعية واستبدال الشيوعية بالتروتسكية .

ان جميع سمات نظرية الثورة الدائمة ، هذه السمات اليسارية المغامرة المنافية للينينية ، تنتهى الى خاتمة منطقية لها وتعبير رجعى مركز عنها فى المبدأ العام الحديث بصدد الثورة العالمية المستمرة . فحسب مزاعم التروتسكيين المعاصريين يتعين على الثورة الاشتراكية العالمية ان تضم ، فى وقت معا ، العمليات التالية : ثورة سياسية فى الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى تستهدف تحطيم النظام الاجتماعى والدولتى القائم فيها ، وثورات بروليتارية فى البلدان الرأسمالية يجب ان تخرج فورا عن نطاق البلد المعنى الى الصعيد العالمى ، وثورات تحررية وطنية يجب ان تبدأ هى الاخرى فورا

بالطريق المسلح وتتجه فى الوقت ذاته نحو الانتقال الى التطور الاشتراكى ونحو تحقيق مهمات الثورة العالمية .

تلك هى ، بصيغة مكثفة ، الاحكام الاساسية لنظرية الثورة الدائمة لدى التروتسكيين المعاصرين الذين يطرحونها باعتبارها احدث منجزات العلم الثورى ويزعمون ، بلا ادنى اثر للخجل ، بان هذا بالذات هو المساهمة الحقيقية فى قضية اللينينية .

ان ذلك فى الواقع ليس مذهبا للثورة المستمرة ، بل هو نظرية لاعقلانية للكفاح الدائم تحت شعارات ثورية صارخة ضد اية ثورة .

ومن الناحية النظرية تتنافى هذه الآراء مع العلم وهى غاصة بالمتناقضات وباطلة من الفها الى يائها . وهى ، من الناحية السياسية ، تبدو للوهلة الاولى طوباوية غير واقعية ، ولكنها رجعية للغاية عندما ننظر اليها بتمعن اكبر . وهى موجهة قبل كل شىء ضد القوى الطبقية والسياسية الرئيسية الراهنة للثورة — ضد شعوب البلدان الاشتراكية والطبقة العاملة وحلفائها ، وضد الاحزاب الشيوعية وهلمجرا .

وتكمن النواة الرجعية لنظرية الثورة الدائمة التروتسكية المعاصرة فى انكار المغزى التاريخى للثورة الاشتراكية وامكانية تحقيقها فى الاطر الوطنية بدون ثورة عالمية ، وفى انكار امكانية بناء الاشتراكية فى بلد واحد او مجموعة من البلدان قبل قيام الانقلاب الثورى العالمى .

فقد جاء فى مواد الاممية الرابعة : « ان الاشتراكية لا يمكن ان تبنى فى بلد واحد . وذلك واحد من مستحيلات التاريخ . فلا يوجد اى بلد يمتلك لوحده الوسائل الاقتصادية والمادية اللازمة لبناء

الاشتراكية . ولا يوجد اى بلد يمكن ان يبنى الاشتراكية على مرأى من الرأسمالية » * .

وكتب زعيم الاممية الرابعة بوساداس ان المفهوم التاريخى العالمى العام للثورة الدائمة يتلخص فى استحالة بناء الاشتراكية فى بلد واحد . واضاف يقول ان الخبرة تبين انه لا توجد ، منذ تأسيس الدولة السوفييتية حتى الآن ولا دولة اشتراكية واحدة ، ولا يوجد حتى الآن ولا مجتمع اشتراكى واحد .

وتطويرا لهذه الموضوعة اعلنت كتلة بوساداس : « ان الظروف التاريخية هى على نحو لا يستطيع معه اى شعب من شعوب العالم ان يبنى الاشتراكية لوحده . ولا تستطيع اية ثورة ان تحقق النصر وتتطور باتجاه الاشتراكية ، لان ذلك لا يمكن ان يحدث الا على النطاق العالمى » **. اما ب . فرانك ، وهو زعيم كتلة تروتسكية اخرى ، فيزعم بان نظرية بناء الاشتراكية فى بلد واحد هى بالذات التى حطمت وحدة الحركة الشيوعية العالمية *** .

وتجرى كتابة ذلك كله والسعى الى البرهنة عليه فى وقت قامت فيه الاشتراكية فعلا وتأسست المنظومة الاشتراكية العالمية . وتحت قيادة الحزب الشيوعى السوفييتى بنى فى الاتحاد السوفييتى مجتمع اشتراكى حقيقى تعتبر سماته الاساسية ، كما هو معروف ، هى تصفية الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وجعل جميع وسائل الانتاج

---

* J.Posadas. "The Crisis in China and Cuba".— In "European Marxist Review", London, May 1968, №1 , p. 23.

** "Revista Marxista Latinoamericana", Montevideo, Agosto 1968, № 14, p. 116.

*** "50 Years of World Revolution 1917—1967, An International Symposium", №4 (1968), p. 334—335.

ملكية عامة وازالة استغلال الانسان للانسان وتصفية الطبقات الاستغلالية واقامة سلطة الشعب وتحقيق المساواة الاجتماعية السياسية والقومية ، ورفع مستوى رفاه الشعب بلا انقطاع على اساس المستوى العالى لتطور القوى المنتجة ، وتحقيق الثورة الثقافية والتلاحم بين الثقافة والجماهير الشعبية ، وتطوير الديمقراطية . وبحل هذه المهمات جميعا بنى الشعب السوفييتى دولته ، دولة الشعب بأسره ، وانشأ مجتمعا اشتراكيا راقيا يتحسن ويتعزز باطراد . وصاغت مقررات المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى برنامج مواصلة تعزيز مواقع الاشتراكية وبناء القاعدة المادية التكنيكية للشيوعية .

ومن المعروف ان انتصار الثورة فى عدد من بلدان اوربا وآسيا قد غير الوضع على الصعيد العالمى تغييرا جذريا . وبعد اقامة السلطة الشعبية فى هذه البلدان وقيام المنظومة الاشتراكية العالمية اصبح واضحا للجميع ان ثلث البشرية سلك طريقا جديدا للتطور التاريخى .

وبين نظام الاشتراكية العالمى تفوقه التام على نظام الرأسمالية فى جميع ميادين الحياة الاجتماعية . ويتجلى هذا التفوق التاريخى النوعى فى كل شيء ، فى العلاقات الاجتماعية والبنية السياسية ووتائر تطور القوى المنتجة والتطور الثقافى للجماهير والمناخ الاخلاقى . واكتسبت الاشتراكية طابعا عالميا وعرضت قوتها الحيوية العظيمة التى لا تقهر. وتبين المنظومة الاشتراكية العالمية طريق المستقبل لجميع الشعوب وتؤثر تأثيرا ثوريا جبارا على التطور التاريخى وتساعد على تعميق العملية الثورية العالمية .

وتشيد الطبقة العاملة العالمية بتفوق الاشتراكية التام على الرأسمالية ، وتعترف بهذا التفوق الاوساط التقدمية من المثقفين

والفئات المتوسطة وجميع الشغيلة فى البلدان الرأسمالية . ويشير الى الطابع الطليعى للاشتراكية حتى الكثيرون من ايديولوجيى البرجوازية .

وليس بوسع التروتسكيين ان ينكروا على المكشوف المنجزات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الهائلة التى حققها الاتحاد السوفييتى والنجاحات التى احرزتها المنظومة الاشتراكية جمعاء . ولكنهم يتابعون القاء الاضواء ، بروح افترائية ، على الطابع الاجتماعى والمضمون التاريخى لهذه المنجزات .

ان التروتسكيين المعاصرين المتمسكين بنظرية الثورة الدائمة والحاقدين اشد الحقد على الحزب الشيوعى السوفييتى والمجتمع السوفييتى يزعمون بان الاشتراكية معدومة فى الاتحاد السوفييتى .

ويرى التروتسكيون ان الطبقة العاملة المنتصرة فى اطار بلد واحد قادرة ، بصرف النظر عن اية جهود ونجاحات وتحويلات وتغيرات ، ان تبنى ليس الاشتراكية ، بل « مجتمع المرحلة الانتقالية » او « المجتمع الانتقالى » لا غير . اما الدولة التى تتأسس بعد الثورة — بغض النظر عما اذا كانت تمثل مرحلة دكتاتورية الطبقة العاملة او انها اصبحت قائمة كدولة للشعب بأسره — فهى فى جميع الحالات « دولة عمالية » حسب المصطلحات التروتسكية . ويضمن التروتسكيون هذا المفهوم جوانب افترائية ودوافع للتفرقة والتمييز . فهم يتصورون ان « الدولة العمالية » ليست مكتملة القيمة ، وليست اشتراكية ، وانما هى ايضا دولة انتقالية .

فالمجتمع الانتقالى ، برأى التروتسكيين ، ينفذ ، من حيث مضمونه الاجتماعى والاقتصادى ، مهمات تعود تاريخيا الى المرحلة الرأسمالية من التطور الاجتماعى (الاصلاحات الزراعية والتصنيع) ، ولكنه ينفذها بطرق تعتبر اشتراكية (انتزاع الملكية الخاصة لقطاعات الاقتصاد الاساسية واستخدام التخطيط العام) وهلمجرا .

ويعترف التروتسكيون بوجود الملكية العامة لوسائل الانتاج فى البلدان الاشتراكية ، ولكنهم يرون ان التوزيع والتملك يتسمان بطابع برجوازى .

ويستنتج من مزاعم التروتسكيين المتناقضة المشوشة ان « مجتمع المرحلة الانتقالية » هو حالة غير واضحة من حيث الجوهر فى تاريخ البشرية ، حالة تنعدم فيها الرأسمالية ، لانها تحطمت ، وتنعدم فيها الاشتراكية ايضا لانها غير مبنية بعد ، ولانها لا يمكن ان تبنى فى اطار بلدان على حدة ما لم تندلع الثورة العالمية . وهذا المجتمع ، كما يرى التروتسكيون ، يمكن ان يستمر امدا طويلا ــ عقودا ، بل قرونا .

ان مبدأ مجتمع المرحلة الانتقالية و« الدولة العمالية » يشغل مكانة هامة ، بل وحاسمة بمعنى ما ، فى نظرية الثورة الدائمة لدى التروتسكيين المعاصرين ، وفى كامل نظام حججهم . وفى هذا الاتجاه بالذات يسير التعمق اللاحق للمضمون الرجعى لنظرية الثورة الدائمة . وعلى اساس هذه النظرية تستخلص اكثر الاستنتاجات رجعية بشأن العملية الثورية العالمية وقواها المحركة وآفاق تطورها :

ففى المقام الاول يخرج التروتسكيون المعاصرون باستنتاجين منافيين للاشتراكية وموجهين ضد الاتحاد السوفييتى :

اولا ــ طالما ان الطبقة العاملة المنتصرة عاجزة عن بناء الاشتراكية ، وطالما يمكن للمجتمعات الانتقالية « اللارأسمالية واللااشتراكية» ان تظل قائمة طوال عقود وحتى قرون فاية آفاق للتقدم الاجتماعى والتاريخى تنتظر هذه البلدان ؟ ليست هناك اية آفاق ، برأى التروتسكيين .

ويعتقد التروتسكيون ان المجتمع الانتقالى محكوم عليه ، فى

حالة تأخر الثورة العالمية ، بالتشوه وبعمليات اعادة النظام البائد وتقوية الاتجاهات الرأسمالية . الا ان ذلك يخلو من المنطق : « فالمجتمع الانتقالى » ، برأى التروتسكيين ، يتضمن بطبيعته عناصر رأسمالية ولا يمكنه التخلص منها . والمخرج الوحيد من كابوس « التشوه » ، كما يعتقد التروتسكيون ، هو تصدير الثورة وشن الحرب الثورية ضد البلدان الرأسمالية واشعال لهيب الثورة العالمية .

ثانيا — فى الظروف الراهنة تستطيع الطبقة العاملة فى بلد واحد ، لدى توفر الملابسات الملائمة ، ان تطيح بالاستغلاليين وتقيم سلطتها مؤقتا . ولكنها لا تستطيع فى اطار بلد واحد ان تذلل ضغط الامبريالية العالمية والقوى الداخلية للمجتمع البرجوازى وتقاليده ، ولا تستطيع ان تبنى دولة اشتراكية كاملة القيمة . وفى افضل الحالات تستطيع الطبقة العاملة ان تبنى شيئا محدودا غير مكتمل من الناحيتين الاجتماعية والديمقراطية ، وهو ما يسمى « بالدولة العمالية » ، وان تمارس دكتاتورية البروليتاريا فى المراحل الاولى فقط وفى حدود معينة .

الا ان الطبقة العاملة تستطيع ان توسع وتعزز سيطرتها السياسية اذا حملت الثورة الى البلدان الاخرى واذا استخدمت سلطتها لشن الثورة العالمية غير المنقطعة . واذا لم تمارس الطبقة العاملة الظافرة تصدير الثورة فلا مفر من تقلص ميدان سيطرة البروليتاريا سياسيا واضعاف سلطتها فيما بعد . وفى هذه الحالة لا مفر من انتكاس السلطة البروليتارية .

وما « الدول العمالية » الحديثة ، حسب رأى التروتسكيين ، الا دول متفسخة لدكتاتورية الطبقة العاملة .

وكان تروتسكى قد ابتدع فزاعة « البيروقراطية » واستخدمها على نطاق واسع فى نضاله السياسى ضد الحزب الشيوعى السوفييتى وضد اللينينية .

ومن المعروف ان تروتسكى ذاته كان من انشط انصار الطرق الادارية البيروقراطية لتسيير المجتمع . ولكنه حاول فى نضاله ضد الحزب الشيوعى ان ينسب الى البلاشفة خطيئاته هو ويتهمهم بالتفسخ والبيروقراطية .

وتقبل التروتسكيون المعاصرون هذا المصطلح الاخير وعمقوا مضمونه المناوئ للثورة ، وهم يستخدمونه كأهم وسيلة لتبرير سياسة معاداة السوفييت ومعاداة الشيوعية . وتجدر الاشارة الى ان الماويين والتحريفيين اليمينيين ، وبوجه عام جميع خصوم اللينينية والحركة الشيوعية قد تلقفوا هذا المصطلح .

ومعلوم ان الحزب الشيوعى السوفييتى والحكومة السوفييتية المتمسكين بوصايا لينين خاصا ويخوضان نضالا ثابتا ضد جميع مظاهر البيروقراطية وحطما اسسها . ويجتث الشعب السوفييتى بحزم وبلا هوادة اى مظهر للبيروقراطية .

وفى السنوات الاخيرة طبقت فى بلاد السوفييت اجراءات جديدة لتعميق سلطة الشعب الفعلية . فان توسيع حقوق السوفييتات والنقابات ، وتنظيم شبكة الرقابة الشعبية الواسعة الفعالة ، وتحسين دراسة رسائل الشغيلة وتنفيذ مقترحاتهم ، ومواصلة تطوير الانتقاد والانتقاد الذاتى ، وزيادة دور الصحافة ، وكذلك الاشكال الجديدة للادارة الاقتصادية — كل ذلك يؤمن المساهمة الفعلية لملايين الشغيلة فى تصريف شؤون المجتمع وفى حل شؤون الدولة فى المركز وتوابعه ، ويوجه ضربات قاضية جديدة الى آخر بقايا البيروقراطية . ان تطوير واستكمال الديمقراطية الاشتراكية وزيادة نشاط الشغيلة السياسى والاجتماعى — كل ذلك هو ما يؤمن ، فى آخر المطاف ، ازالة اية مظاهر للبيروقراطية بصورة تامة .

بيد ان التروتسكيين لم يكونوا وليسوا مهتمين بمكافحة بقايا البيروقراطية الادارية او تكرر بعض ظواهرها مكافحة فعلية . فان مصطلح « البيروقراطية » فى قاموس التروتسكيين يعبر عن موضوعتهم الافترائية بصدد انتكاس المجتمع والدولة والحزب فى الاتحاد السوفييتى . فالتروتسكيون يدعون الى تدمير النظام السياسى القائم فى الاتحاد السوفييتى والى النضال ضد الحزب الشيوعى السوفييتى وجميع الاحزاب الشيوعية فى البلدان الشقيقة . وتلك هى فى الواقع دعوات لتحطيم الاشتراكية القائمة فعلا . وهكذا ، يعتبر مصطلح « البيروقراطية » التروتسكى تبريرا ايديولوجيا للسياسة المعادية للثورة ، تلك السياسة الرامية الى تصفية المكتسبات العظمى للشعب السوفييتى .

وليس من قبيل الصدفة ان يتسلح بهذا المصطلح الدعاة البرجوازيون ، ويستخدمه على نطاق واسع فى كل الاحوال المرتدون الذين خانوا قضية اللينينية ، قضية الاشتراكية . وليس نادرا ان يستخدم هذا المصطلح التحريفيون اليمينيون و« اليساريون » فى اغراضهم الاستفزازية .

وبهذا الخصوص لا يسعنا الا ان نشير الى ان استخدام بعض الصحفيين ذوى الاتجاه الماركسى لهذا المصطلح استخداما غير انتقادى امر خاطئ من حيث المبدأ، وهو لا يفعل غير ان يلحق الضرر بقضية الحركة الشيوعية .

كما تجلى الطابع الفاسد لنظرية وتطبيق الثورة الدائمة بكامل الوضوح فى موقف التروتسكيين من الثورة الكوبية .

فعندما اندلعت الثورة فى كوبا حاول التروتسكيون ان يستخدموها على نحو مسعور بغية تطبيق مبادئهم النظرية والسياسية . فدفعوا قادة الثورة فى كوبا الى الاعمال المغامرة وزعموا ان رسالة هذه الثورة

تتلخص ليس فى بناء حياة جديدة ، بل فى تصدير الكفاح الثورى. وكان على كوبا ، برأى التروتسكيين ، ان تصبح منطلقا للثورة الدائمة فى اميركا اللاتينية ، ثم فى العالم بأسره .

وقد ادرك الشعب الكوبى وزعماؤه الثوريون بسرعة نوايا التروتسكيين الغادرة . ولم يكن بوسع قبول النداءات التروتسكية اليسارية المتطرفة ان يعجل ، طبعا ، بتطور الثورة فى اميركا اللاتينية ، بل كان من شأنه ان يؤدى الى هلاك جزيرة الحرية والى تعزز القوى الرجعية فى اميركا اللاتينية . وقد شجب فيديل كاسترو بحزم فى الخطاب الذى القاه فى اختتام مؤتمر القارات الثلاث نشاط التروتسكيين التخريبى ، وبين ان التروتسكيين فى الواقع يساعدون الامبرياليين فى مكافحة الثورة وفى النضال ضد الجماهير الشعبية وضد طليعة القوى الثورية ـ الاحزاب الشيوعية .

وعندما رفض الشعب الكوبى بقيادة الحزب الشيوعى ادعاءات التروتسكيين وشرع ببناء الحياة الجديدة شجب التروتسكيون الثورة فى كوبا .

ان العيب السياسى والبطلان النظرى والجوهر الاستفزازى لنظرية الثورة الدائمة التروتسكية وتناقضها الداخلى ـ كل ذلك يتكشف بمنتهى الوضوح كلما حاول التروتسكيون المعاصرون استخدامها لرسم الخط السياسى للطبقة العاملة وستراتيجية وتاكتيك النضال الثورى فى البلدان الرأسمالية المتطورة .

ويعلق التروتسكيون جل آمالهم على تصدير الثورة من قبل قوى الدول الاشتراكية (« العمالية » حسب مصطلحات التروتسكيين) . ولكنهم يسعون فى الوقت ذاته الى العمل بكل الوسائل من اجل تفرقة

وتشتيت القوى الاساسية المحركة للثورة – بروليتاريا البلدان الرأسمالية والشعوب الاشتراكية بزعامة الطبقة العاملة .

فمن جهة يدعو التروتسكيون الدول الاشتراكية الى استخدام كامل قدرتها لتسديد الضربة النهائية الى الامبريالية ، ومن جهة اخرى يشجبون العمل البناء الرامى الى زيادة هذه القدرة ويدعون الى الاطاحة بنظام الدولة القائم فى البلدان الاشتراكية ويزعمون بان الثورة السياسية يجب ان تندلع فى هذه البلدان بالذات قبل غيرها .

وتتسم بطابع المغامرة السياسة التروتسكية التى تنكر سنن اختمار الثورة ومراحل تطورها . فالتروتسكيون ينكرون ضرورة الجمع بين النضال فى سبيل الديمقراطية والنضال فى سبيل الاشتراكية ، وضرورة الاصلاحات الديمقراطية ويدعون فورا الى تحقيق التحويلات الاشتراكية . فالتروتسكيون الاميركان ، مثلا ، يفرضون على الحركة الزنجية والحركة المناوئة للامبريالية برنامج النضال « من اجل الاستيلاء على سلطة الدولة » وفى سبيل « تأسيس حكومة عمالية » . وينكر التروتسكيون الفرنسيون ان لمهام النضال الديمقراطية العامة والمناوئة للامبريالية شأنا كبيرا على نحو مستقل فى المرحلة الراهنة ويتهمون الحزب الشيوعى الفرنسى بالتخلى عن النضال فى سبيل الاشتراكية وبخيانة قضية الطبقة العاملة . فقد اعلنت مجلة التروتسكيين الاسبوعية « روج » : « ان برنامج الحزب الشيوعى الفرنسى لم يعد اشتراكيا بعد الآن ، فهو يهتم بالدرجة الاولى وقبل كل شيء ليس بالطبقة العاملة ، بل بجميع من يسمون بالديمقراطيين والفئات المناوئة للاحتكارات . اما المطالب العمالية الصرف التى يطرحها الحزب الشيوعى فهى ليست المحور المركزى لبرنامجه ، الامر الذى كان من شأنه ان يساعد على فهم السبب فى النضال من اجل الاشتراكية .

وهذه المطالب تبدو بمثابة جانب جزئي لبرنامج الديمقراطية التقدمية »*.

وعلى النقيض من برنامج الشيوعيين المعلل علميا والخاص بحل المهمات الثورية على مراحل يطرح التروتسكيون الفرنسيون نظرية « الثورة العمالية » الصرف التي يتعين تحقيقها في جميع بلدان اوربا في وقت واحد ، ويربطونها بالكوارث الاقتصادية العالمية .

وينكر التروتسكيون كذلك ضرورة تعزيز صلات الطبقة العاملة بفئات الشغيلة غير البروليتارية ، ويشجبون سياسة تشكيل التحالفات المناوئة للاحتكارات والتحالفات اليسارية الواسعة .

كما يبشر التروتسكيون باستقلالية مختلف مسيلات الحركة الديمقراطية على اختلافها ، ويصنفون المناضلين احيانا حسب سمات غير طبقية ومشبوهة تماما . ففي الولايات المتحدة الاميركية ، مثلا ، يميزون بين حركة عمالية واخرى زنجية وثالثة مكسيكية ، يميزون بين حركة الهنود الحمر والحركة النسائية والخ ، مما يؤدي في آخر المطاف الى تجزئة القوى الثورية .

ويتغنى التروتسكيون بدور الجماهير مؤكدين ضرورة الاتجاه نحوها واستنهاضها للنضال الثوري . ولكن ذلك مجرد اقوال . فهم في الواقع يضللون الجماهير ويعيقونها عن الانتقال الى الطريق الثوري حقا ، ويعارضون الجماهير بالنخبة المكافحة بشخص المنظمات التروتسكية والزعماء وهلمجرا .

وبالنتيجة يحيل التروتسكيون الثورة الفعلية الى مجاهل لا حدود لها ، ويستبدلون اعداد الطبقة العاملة وجميع الشغيلة اعدادا فعليا للمعارك الثورية الحاسمة بعبارات يسارية ، واحيانا ببعض الاعمال المسلحة المغامرة ، مما يلحق الضرر بالنضال الطبقي لا اكثر .

„Rouge", Paris, 8 juin 1970, № 67, p. 5 *

ان المخطط التروتسكى للثورة الدائمة المنطلق من ضرورة الصدام المسلح الشامل بين الثورة العالمية والرأسمالية العالمية ينكر ضرورة التعايش السلمى وسياسة السلام وأمن الشعوب . ويرى التروتسكيون ان الحرب ستكون دافعا لتطور « الدول العمالية » . وبعد الحرب ستستطيع حتى القبائل التى تعيش الآن حسب النظام العشائرى ان تنتقل بسرعة الى الحياة فى الكومونات والسوفييتات ! ومن هنا ينبع شعار كتلة بوساداس – بغية مجيئ الشيوعية باسرع ما يمكن يجب انتزاع المبادرة من الامبريالية والشروع بالحرب النووية العالمية « بضربة وقائية » .

واستنادا الى الاحكام المنافية للنزعة الانسانية والتى تقول ان الوعى الشيوعى كاف لبناء مجتمع جديد على انقاض الاشعاع الذرى يدعو التروتسكيون الى تسعير اوار حروب محلية جديدة من طراز الحرب الفييتنامية ، والى الحرب الثورية باسم الثورة العالمية . علما بان الحرب ، برأيهم ، يجب ان يشنها الاتحاد السوفييتى الذى يحقدون عليه . فقد اعلن جوزيف هانسين ، وهو احد زعماء « حزب العمال الاشتراكى » ، فى المؤتمر الثانى والعشرين للحزب ان الاتحاد السوفييتى قادر على القضاء على الرأسمالية فى بضعة ايام . فليس من الصعب الحاق الهزيمة بالامبريالية الاميركية فى المرحلة الاولى من الحرب الاسيوية * .

ان التروتسكيين المعاصرين من الد اعداء الشيوعية . فهم يوجهون اهتمامهم الرئيسى فى نشاطهم كله نحو محاربة طليعة الحركة الثورية المعاصرة ، نعنى الاحزاب الشيوعية .

"International Socialist Review", January-February 1968, p. 8. *

ويتحالف التروتسكيون فى هذا النضال مع جميع المنشقين والمرتدين والتحريفيين اليمينيين و« اليساريين » . وقد استقبلوا ببالغ الاعجاب النشاط الانقسامى لقيادة الحزب الشيوعى الصينى فى الحركة الشيوعية ، وقبل كل شيء اعمال هذه القيادة ضد الحزب الشيوعى السوفييتى . وهم يحلمون باستخدام الماويين بغية اضعاف الاحزاب الشيوعية . فقد نادى بوساداس الماويين قائلا : ايها الرفاق الصينيون ! لا تخشوهم ، لا تخشوا الصدامات مع جماهير الشيوعيين . فسوف تضطرون دون شك الى الاصطدام معها لبعض الوقت ، وذلك لانها لا تزال تسير فى ركاب الاحزاب الشيوعية . ولكن اذا دعوتم الجماهير فى العالم اجمع الى النضال فسوف تؤثرون تأثيرا مباشرا عليها .

ويرى بوساداس انه حتى لو ترك الحركة الشيوعية بنتيجة عمل الماويين التخريبى هذا ٩٠٪ من الشيوعيين الحاليين فان ذلك هو الافضل. والنوايا هنا غير نزيهة ابدا ، ولكنها واضحة للعيان : فالتروتسكيون ، بحساب بوساداس ، هم الرابحون من مثل هذه الضربة لو وجهت الى الحركة الشيوعية .

وابدى زعماء الاممية الرابعة استحسانهم لما يسمى بالخط العام للحركة الشيوعية العالمية الذى صاغته قيادة الحزب الشيوعى الصينى بشكل ٢٥ بندا ، واكدوا فى الوقت ذاته ان هذا الخط هو من حيث الاساس تكرار لاحكام التروتسكية .

وقال بوساداس : ان جميع المسائل التى يطرحها الرفاق الصينيون كانت قد طرحت وجرى النضال فى سبيل حلها طوال سنين عديدة . وهذا بالذات هو السبب فى وجود الاممية الرابعة . فهم لم يكتشفوا شيئا جديدا الآن ، وذلك لان النضال جار منذ سنين طويلة .

ان التروتسكيين لا يعترفون بمكانة ماو تسى تونغ النظرية ، وهم يواجهونه بتروتسكى الذى لا يمكن فهم الثورة الحديثة ، على حد زعمهم ، بدون معرفة مؤلفاته .

ومن المعروف ان الجماعات الماوية فى الحركة العمالية تواجه ازمة . « فالثورة الثقافية » التى قامت فى الصين قد ادت الى المزيد من تقليص تأثير النشاط الانقسامى للجماعات الماوية ، بالرغم من تناقض تقييم هذه الجماعات العاملة فى اوربا الغربية واميركا اللاتينية « للثورة » المذكورة . وكانت الاعمال الاخيرة التى قامت بها الحكومة الصينية فى مضمار السياسة الخارجية ومغازلتها للامبريالية قد شددت من ظواهر الازمة بين الكتل الماوية فى العالم الرأسمالى .

ولذا قرر التروتسكيون المعاصرون الاستفادة من ذلك لتعزيز وتوسيع مواقعهم . وبود بعض التروتسكيين لو اصبحوا خلفاء للمنظمات الماوية ولو استخدموها لاغراضهم الانانية . وفى الآونة الاخيرة ابدت مراكز تروتسكية عديدة شجبها لاعمال زعماء الحزب الشيوعى الصينى . فان اللجنة العالمية للاممية الرابعة فى لندن دعت حتى الى الاطاحة بالبيروقراطيين الماويين . وادانت الماوية كذلك سكرتارية اميركا اللاتينية برئاسة بوساداس . ولكن ذلك لا يعنى ان الصراع بين الماويين والتروتسكيين يتسم بطابع مبدئى . فهم ينطلقون ، فى المسائل الجذرية للسياسة العالمية والنضال الثورى وحركة التحرر الوطنى ، من منهج واحد مناف للماركسية ومعاد للسوفييت وللديمقراطية.

وهكذا ، فان التروتسكية المعاصرة ، نظرية وتطبيقا ، موجهة ضد الديمقراطية والحرية الوطنية وضد الثورة والاشتراكية ، وضد قضية السلام وامن الشعوب ، وضد المصالح الحالية والجذرية للعمال

والمثقفين والفلاحين والنساء والشباب . ان التروتسكيين هم الد اعداء التطور التقدمي للبشرية جمعاء .

* * *

تشير كل الدلائل الى ان انتعاش التروتسكية المعاصرة يتسم بطابع عرضى ، وان سياستها الرجعية المتشائمة وتاكتيكها اليسارى المتطرف المغامر يؤديان في آخر المطاف الى انها تفضح نفسها وتحط من سمعتها بصورة متزايدة فى انظار الذين يتسنى لها تضليلهم فى هذه المرحلة او تلك. ولكنه نظرا لحتمية استمرار تزايد عدد المساهمين فى المعارك الثورية وانخراط فئات اجتماعية جديدة فى هذه المعارك ، ينبغى الالتفات الى ان المنظمات التروتسكية والمبادئ التروتسكية يمكن ان ترفع رأسها من جديد على الامواج الثورية العفوية.

ويلقى ذلك على عاتقنا واجب تشديد الهجوم الايديولوجى على نظرية وسياسة التروتسكية التى هى من الد اعداء الثورة والاشتراكية.

ان الخبرة التاريخية العالمية تبين ان الاساس النظرى الوحيد للنضال فى سبيل انتصار الثورة والاشتراكية هو التعاليم الماركسية-اللينينية .

محتويات

تمهيد ٣

١ – التروتسكية المعاصرة سلاح لمعاداة الشيوعية ١١

٢ – مذهب خيانة الثورة ٢٧

٣ – التروتسكيون في نضالهم « الدائم » ضد الثورة ٤٧

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول موضوع الكتاب وترجمته، وشكل عرضه، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ٢١
موسكو – الاتحاد السوفييتي